الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي –تبسة–
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

جماليات فنية
في القصة القرآنية
قصة نوح عليه السلام أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- دنيا براهمي
- نسرين جابري

إشراف الدكتور:
قدور سلاط

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد الواحد رحال	أستاذ محاضر أ	جامعة العربي التبسي	رئيسا
قدور سلاط	أستاذ محاضر أ	جامعة العربي التبسي	مشرفا ومقررا
إبراهيم نويري	أستاذ محاضر ب	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018– 2019

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وتقدير

"كن عالما . . . فإم لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع بأحب العلماء ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد ، تكللت بإنجاز هذا البحث، نحمد الله عز وجل على نعمه التي من بها علينا فهو العلي القدير، كما لا يسعنا إلا أن نخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير الدكتور "سلاط قدور" لما قدمه لنا من جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث .

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا البحث .

إلى الذين كانوا عونا لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا .

أما الشكر الخاص الذي من النوع الخاص نتوجه به إلى كل من لم يقف إلى جانبنا ، ومن وقف في طريقنا وعرقل مسيرة بحثنا .

البحث بحثنا ، فلولا وجودهم لما أحسسنا بمتعة العمل وحلاوة البحث، ولما وصلنا إلى ما وصلنا إليهم، فلهم منا كل الشكر .

مقدمة

الحمد لله الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على النبي العربي، خير الخلق وحبيب الحق، الذي أوتي جوامع الكلام، فكان إمام البلغاء وسيد المتكلمين، وبعد:

إن كتاب الله مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال، ما يزدجر به أولوا الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها، إلا من علم حصرها هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول، وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب.

وهو كتاب كله حق، وكلامه صدق، وقد ضرب الله لعباده فيه الأمثال، وقص عليهم قصص السابقين من الأمم والرجال، لغرض التربية والتهذيب والوعظ والتأديب، بأسلوب كله روعة وجمال، وجزالة وجلال، فهو ممتع ومقنع، ناقع وقامع، نطالع فيه قصص من سبق، لنسير على هدي فيما يلحق، وقصصه ليست كقصص الناس،ــ لأنها الحق بعينه، والصواب بفصه ونصه.

إن القصص القرآني معجزة تأثيرية بليغة، خفي سرها، ولمعت بعض ملامحها في صور من جمالها، لأنه بحر زاخر بالدرر الجمالية، سحر بها العقول والقلوب، قال تعالى:

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾[1].

لقد كانت القصة القرآنية، بآدائها المعجز، وأسلوبها الفريد، وعرضها المبهر وانسجامها الأكيد مع غاية القرآن الكريم في زرع بذور الإيمان بالله، وترسيخ قيمه في النفس، كانت كذلك تجذب الباحث فيعود كل حين إليها تاليا ومتدبرا. وهي تصل بالفكرة المرادة منها إلى متلقيها بيسر وسهولة مع حب وتطلع، ويقظة وتأمل، إضافة إلى ما امتازت به القصة القرآنية خاصة من مميزات وخصائص تجعلها أقرب إلى تحقيق هدفها وترسيخ غاياتها، والوصول إلى مرماها.

وقد لفتت القصة القرآنية أنظار الباحثين الذين رأوا فيها معينا لا ينضب من الجمال والجلال، وحسن العرض وقوة التأثير والبحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه عمل لا تنضب مادته وتذوق الجمال في النسق القرآني بما يقدمه لنا من صور يتيح للنفس فرصة السمو بالأفكار والمشاعر إلى قداسة الرسالة النبيلة للقرآن، ليكون ذلك القصص هاديا للمؤمنين إلى الطريق الصحيح، والصراط المستقيم، فالله تعالى يقول: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾[2]. لذا كثرت الدراسات والبحوث التي تسعى إلى دراسة القصص القرآني لإبراز القواعد والمقاييس الجمالية للقصة القرآنية، التي يمكن استثمارها لقيام رؤية نقدية إسلامية، تقوم على الخصائص المتميزة لقصص القرآن. ومن القصص البارزة في القرآن قصة نوح التي لها خصوصياتها، حيث وردت في سورة كاملة سميت

1- سورة الكهف، الآية 109.

2- سورة يوسف، الآية 03.

سورة نوح، ويكشف عما تنطوي عليه من دلالات ينبغي الانتباه لها لما تضمنه من مواقف في غاية الإثارة، تتصل بأهم الدوافع الإنسانية: الخروج من الظلمات إلى النور، العزم والثبات والصبر، الطغيان والسخرية، كل ذلك يظهر ويتجلى في شكل قصصي حافل بأنواع الإثارة الفنية.

والجمالية القرآنية هي علم الجمال القرآني وفنيته التي تعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليبه عبر الموضوعات القرآنية المتعددة، وبتعبير أدق فإن الجمالية أبرز الظواهر القرآنية بسبب ما استعملته من المواد العربية الأولى نحو: المفردة، التركيب والصورة الأدبية، ولكن في آفاق من الإعجاز الإلهي الدائم.

وقصة نوح عليه أفضل السلام تزخر بالجمالية ذات الأساليب المتنوعة، كل ذلك قائم على جمال اللفظ والمعنى وحسن تركيبها في أحسن صورة من صور الإبداع الأدبي الفني، إذ اشتملت على كل عناصر القصة الأدبية والمشاهد التصويرية، بحيث تجعل القارئ يتصور ما حدث وكأنه ماثل أمامه، بأسلوب فريد في ألفاظها وتعبيرها وآدائها القصصي الممتع.

إذا كان للقصة القرآنية كل هذا السحر البديع الذي ارتسم في جمالياتها المختلفة، فإن دراستنا أثرى وأنفع وأوسع، وقد اخترنا في دراستنا جانبا مهما في القصة وهو الجماليات الفنية لنجيب على إشكالية محورية تشمل: **ماهي أبرز الجماليات الفنية في القصة؟ وما هي أبرز الجماليات الفنية في قصة نوح؟ وما هي أهم أغراض وأهداف القصة؟ وما هي أهم مظاهر الإعجاز في قصة نوح؟**

للإجابة على هذه الإشكالية، اتبعنا المنهج الوصفي مع الاتكاء على آلية التحليل، الذي يقوم على إبراز مثل هذه الظواهر وتحليلها من خلال السياق.

وتقع الدراسة في ثلاثة أجزاء، استهلت بالمدخل التمهيدي الموسوم بـــ: القصة النشأة والمفهوم، ويندرج ضمنه مبحثان:

المبحث الأول: تحديد مصطلحات البحث، ويتكون من ثلاث مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الجمال لغة واصطلاحا وفي القرآن الكريم

المطلب الثاني: مفهوم الفن لغة واصطلاحا

المطلب الثالث: مفهوم القصة القرآنية: لغة واصطلاحا في القرآن الكريم

المبحث الثاني: القصة النشأة والتطور، ويتكون من ثلاث مطالب:

المطلب الأول: القصة عند العرب

المطلب الثاني: القصة في العصر الحديث

المطلب الثالث: أنواع القصة ودوافع ظهورها

وفي الفصل الأول الموسوم بـــ: جوانب القصة القرآنية نجده يتكون من ثلاث مباحث:

المبحث الأول: القصة القرآنية أغراضها وأنواعها، ويتضمن هذا المبحث ثلاث مطالب:

المطلب الأول: أنواع القصة القرآنية

المطلب الثاني: أغراض القصة القرآنية

المطلب الثالث: عناصر القصة القرآنية

المبحث الثاني: جوانب تربوية في القصة القرآنية، ويتضمن مطلبان:

المطلب الأول: الجوانب التربوية في القصة القرآنية

المطلب الثاني: الخصائص العامة للقصة القرآنية

المبحث الثالث: الجوانب الإعجازية والفنية في القصة القرآنية، حيث تطرقنا إلى مجموعة من الجماليات الفنية

المطلب الأول: التصوير في القصص القرآني

المطلب الثاني: التنويع في الاستعمال

المطلب الثالث: التكرار في القصص القرآني

بالإضافة إلى مجموعة من الجماليات الفنية التي سنتناولها لاحقا في الفصل الثاني.

أما الفصل الثاني والأخير الذي حمل عنوان: الجماليات الفنية في قصة نوح عليه السلام، وفيه محاولة لعرض أبرز السمات الجماليات والفنية في قصة نوح عليه السلام، ثم نتبع ذلك بخاتمة تلخص أبرز ما توصلت إليه الدراسة.

وقد اخترنا هذا الموضوع دون غيره لأسباب عدة أهمها اشتمال القرآن الكريم على كافة فروع العلم وأصول وفنون التعبير، كذلك الوقوف على أهم الخصائص الفنية والجوانب الإعجازية في قصة نوح عليه السلام.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع، فقد حظي باهتمام كبير سواء عند المفسرين أو الباحثين، فكان اعتمادنا على مجموعة من المصادر كان أولها كتاب الله العزيز، كذلك:

كتب التفاسير: ابن كثير والطبري والسعدي، كقاعدة من أجل التحليل والاستنباط.

كتب علوم القرآن: مباحث في علوم القرآن، النبوة والأنبياء، التصوير الفني في القرآن، في ظلال القرآن.

كتب القصص القرآني: مع قصص السابقين في القرآن، قصص القرآن الكريم، وقد كانت الركيزة الأساس خاصة في أسلوب القصة لأخذ قصص الأنبياء وما يستفاد منها.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا واعترضت عملنا كثرة آراء المفسرين وصعوبة التعامل مع آيات القرآن الكريم لأنه كلام الله المعجز.

هذه بعض الجوانب حاولنا تسليط الضوء عليها، ولاشك أن فيه عقبات لم تذلل وأخطاء ونقائص، فهو جهد شخصي، والكمال لذي العزة والجلال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مدخل تمهيدي:

القصة، النشأة والمفهوم

المبحث الأول: تحديد مصطلحات البحث

المطلب الأول: تعريف الجمال

أ/ لغة: جاء معنى الجميل في كتاب العين بمعنى «بهاء وحسن، يقال: جاملت فلانا مجاملة، إذا لم تصف له المودة وماسحته بالجميل، ويقال: أجملت في الطلب، والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، وأجملت له الحساب والكلام من الجملة»[1].

الجميل يدل على الحسن في الخلق والخلق، في قاموس المحيط «جمل ككرم، فهو جميل، كأمير وعراب ورمان، والجميلة والتامة الجسم من كل حيوان، وتجمل وجامله: لم يصفه الإخاء بل ماسحه بالجميل، أو أحسن عشرته، وجمال كأن لا تفعل كذا، إغراء، أي ألزم الأجمل ولا تفعل ذلك»[2].

نلاحظ من خلال التعريفات السابقة أن الجمال صفة من صفات الأشياء يمكن التلفظ بها من خلال حسن الأخلاق والجمال الروحي، فالجمال ظاهرة موجودة مدركة في الطبيعة.

ب/ اصطلاحا:

إنه من الأمر اليسير بأن نصف سلوكا أو شيئا بالجمال، لكن من العسير علينا أن نصيغ له تعريفا، لأن الآراء حوله متراكمة والمواقف متعددة والنظريات مختلفة تبعا لاختلاف أفكار أصحابها.

ومع ذلك كله إلا أن البشر فطروا على حب الجمال، حيث هذا الأخير هو الذي يعطي للحياة معنى، وهو كل ما ترتاح إليه النفس، ويحس به الوجدان، لكنه إحساس

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2003، مج01، ص 261.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ج03، بيروت، لبنان، ط01، 1999، ص، 480-481.

متفاوت بتفاوت ملكة الذوق عند الأشخاص وبالتالي: «**الجمال صفة متحققة في الأشياء وسمة بارزة من سمات هذا الوجود، تحسه النفس وتدركه بداهة**»[1].

والجمال يتجلى في الأشياء بنسب متباينة، فهو «**ظاهرة ديناميكية متطورة، وتقديره يختلف من شخص إلى آخر، ومن لحظة لأخرى**»[2]. الجمال بهذا المصطلح قديم، وما يبين ذلك تاريخه الذي كان صراعا بين التيار الذي ربط الجمال بالإنسان، والتيار الذي ربطه بالمتعة واللذة، الشيء الجميل الشيء الحسن الذي تحبه النفس وتميل إليه.

ج- الجمال في القرآن الكريم:

يعتبر الجمال من القيم التي تناولها القرآن الكريم تناولا محكما سديدا يجعلها تسهم في سمو المجتمع البشري، ودفعه إلى تحقيق رسالته الكريمة ومنها: الحق والجمال، فورد لفظ جمال وجميل في آيات القرآن الكريم ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦﴾[3].

فالقرآن الكريم يضم إشارات عديدة إلى هذا الجمال الذي يزين الكون الواسع الدال على عظمة الخالق كقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾[4].

1- محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط06، 1983، ص 85.

2- علي شلق: الفن والجمال، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، (د.ط)، 1982، ص50.

3- سورة النحل، الآية 06.

4- سورة الصافات، الآية 06.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ ﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧ ﴾[2].

فمعنى هذه الآيات القرآنية أن الله سبحانه وتعالى يدلنا على ألوهيته وجماليته في هذه الآيات الجمالية، كما قال سبحانه وتعالى بعد أن وصف مراحل الخلق الذي مر بها الإنسان: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾[4].

فمن كرم الله تعالى أنه عدل هذا الإنسان المخلوق وسواه وقومه فجعله في أحسن صورة، فتناسق الخلق مظهر أصيل للجمال وتزيين السماء بالنجوم يجعل الجمال هدفا في الخلق فهي عبارات تمثل أنماط من جمال القرآن الكريم لها مغزاها الكبير.

«ومهما قيل بخصوص الجمال في القرآن الكريم سواء ما جاء بنص صريح ومفردة صريحة أو ما جاء ضمنيا في القرآن الكريم بحسر بيانه وقوة سبكه، فلا يمكن للباحث أن يستكشف الحقائق الكلية فيه أو أن يلم بكل ما حوله وما فيه من أسرار»[5].

1- سورة الملك، الآية 05.

2- سورة الكهف، الآية 07.

3- سورة المؤمنون، الآية 14.

4- سورة الانفطار، الآية من 6 إلى 8.

5- أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، دار التوفيقة للتراث، القاهرة، (د.ط)، (د.س)، ص 23.

د/ التصورات الجمالية في العصر اليوناني:

«ولا ريب في أن الفترة اليونانية تعتبر بداية فعلية للفلسفة الجمالية، من حيث هي نمط من التفكير انصب على الظاهرة الفنية قصد إدراك حقيقتها وماهيتها ومعرفة المعايير والقوانين التي تحكمها، وما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، أن الفلاسفة اليونانيين قد بحثوا في القضايا الجمالية ضمن رؤيتهم الفلسفية العامة للوجود وانطلاقا من الخلفية الميتافيزيقية أو الأنطولوجية التي كانت تؤطر هذه الرؤية»[1].

أفلاطون (427-347 ق,م)[*]:

تتميز نظرته للكون بالنظرة الميتافيزيقية المثالية، فقد جعله إن صح التعبير كونان، عالم اجتمعت فيه كل الحقائق المطلقة الخير مطلق والحق مطلق والجمال مطلق، ويطلق عليه عالم المثل وما هو أمامنا في هذا العالم «**يعتبره أفلاطون صورة عن الأصل وأضاف أن ما يجعل الإنسان متعلق بالعالم الفوقي الغيبي المجرد هو العقل، الذي يسمو به من الجانب العاطفي الحسي إلى الجانب الأخلاقي المثالي وجميع الفنون الموجودة في هذا العالم، وما يقوم به الفنان ما هو إلا محاكاة لهذه الفنون هذا تفسير عن نظرته الجمالية**»[2].

1- كمال بومنير: قضايا الجمالية من أصولها القديمة إلى دلالاتها المعاصرة، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، ط01، 2013، ص 17.

*- فيلسوف يونماني، يعتبر من أهم الفلاسفة في تاريخ الفلسفة، وأحد مؤسسي الفكر الغربي.

2- علي عبد المعطي محمد ورواية عبد المنعم عباس: الحسن الجمالي وتاريخ الفن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2003، ص 25.

أي أن العقل الإنساني هو الرابط بين العالم الحسي وعالم المثل «**فتصوره للجمال الذي يقلده الصانع حين يخلق موجود ذاته في عالم الأرض المحسوس**»[1]، فالجمال عنده مجرد تقليد لعالم المثل ليخلق عالم المحسوسات.

«**أنه لا يعادل الجمال الذي يمثل الحق والخير، فإنه في هذا المنطلق فقد تصور أنه لا يمكن للفنون أن ترتقي إلى مستوى الطبيعة التي تضم كل كمال وخير وجمال، لأن الطبيعة التي يحاول الفن محاكاتها هي الأصل، وهي لذلك أكمل وأجمل بكثير من الصورة أي العمل الفني**»[2]. فالطبيعة هي الأصل، والفن هو محاكاة لهذا الأصل.

«**والجمال عنده يتجسد في الفن الذي هو إلهام ينبعث من ربات الفنون التي تمثل إشارات رمزية وأسطورية في محاوراته، في حين يضل، الجمال في الذات مصدر إلهام على المستوى الفلسفي (...) فيصبح مصدر الفن في النهاية هو المثال المعقول للجمال**»[3]. أفلاطون يربط الفن بالإلهام الذي ليس له علاقة بالعالم الحسي.

يعرف أفلاطون الجمال في "محاور هيباس الأكبر" على لسان سقراط بقوله: «**أن الجمال ليس صفة خاصة بمائة أو ألف شيء، فلاشك في أن الناس والجياد والملابس والعذراء والقيتارة كلها أشياء جميلة، غير أنه يوجد فوقها جميعا الجمال نفسه**»[4]. فالجمال الذاتي صادر عن ربات الفنون.

1- علي عبد المعطي رواية عبد المنعم عباس: الحسن الجمالي وتاريخ الفن، ص 26.

2- المرجع نفسه، ص 25.

3- المرجع نفسه، ص 29.

4- هالة محجوب خضر: علم الجمال وقضاياه، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، 2006، نقلا عن: دنيس هويسمان، علم الجمال (الأستطيقا)، تر: أمير حلمي مطر، دار حياء الكتب العصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 113.

أرسطو[*](385-322ق.م):

موقف أرسطو من الجمال موقف واقعي، فقد «اتفق على أن الفن يحاكي الطبيعة، إلا أن أفلاطون رأى أن هذه المحاكاة التي تغني عن الحقيقة في حين اعتقد أرسطو أن الفن إذا كان محاكاة فإنه أعظم من الحقيقة، لأنه يتمم ما تعجز الطبيعة عن إتمامه، إذن المحاكاة عند أرسطو ليست محاكاة سلبية، بل يجب أن يشوبها التطور والبناء الجديد أو المبتكر، وبهذه العملية يقوم الإنسان الطبيعة ويطورها نحو الأحسن، وهذه أحد مهمات الفن، وهناك فرق جوهري أيضا هو أن الفن عند أفلاطون يصدر عن إلهام، إذ عد أفلاطون الفنان مجرد وسيط إلى الإله التي تمنحه الإبداع، بينما الفن عند أرسطو نتاج للعواطف الإنسانية، فالعمليات الإبداعية عند أرسطو عملية إنسانية مرنة، يكون أدائها وقائدها الفنان نفسه، لأن الفنان عنده حادقة واعي مفكر يكشف عن مكامن الجمال في عالم الحسن، واهتم أرسطو بالشعر والخطابة والموسيقى أكثر الفنون الأخرى، وجعل المحاكاة أهم معيار لها، ذلك أن الشاعر مثلا إذا برع في محاكاة الطبيعة وشكل انسجاما بينها وبين شعره، وبذلك يحقق إيقاعا يكون كافيا للحكم على الشاعر بعظمته»[1].

يتفق أرسطو مع أفلاطون في محاكاة الطبيعة، إلا أن أرسطو يجعلها عملية إنسانية.

يعرف أرسطو الجمال بأنه: «**التناسق التكويني وأن العالم يتبدى في أحلى مظاهره، فهو لا يعنى برؤية الناس كما هم في الواقع، بل كما يجب أن يكونوا عليه**»[2]، فالجمال عنده هو السمو بالواقع وتطوير مظاهره، وقد قسم أرسطو الشعر إلى قسمين: شعر الحماس، شعر الهجاء، وهما يعبران عن الحالة النفسية للناس.

*- فيلسوف يوناني كبير وتلميذ أفلاطون، غير أن مذهبه الفلسفي جرى في اتجاه مغاير تماما لأستاذه.

1- فداء حسين أبو دبسة وآخرون، فلسفة عالم الجمال عبر العصور، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن، ط01، 2010، ص 34.

2- هالة محجوب خضر وآخرون: علم الجمال وقضاياه، نقلا عن: دنيس هويسمان علم الجمال الأستيطيقا، ص 24.

«**أما عن أهمية الشعر فيرى أرسطو أن هذه الأهمية ترجع إلى طريقة تصوير الشعر للحياة الإنسانية، أما عن أهمية الشعر فيرى أرسطو أن التراجيديا والكوميديا قائمتان على المحاكاة، وسلم بأن مهمتهما إثارة العواطف (...) فقد وقف يدافع عن اللذة التي يثيرها الشعر**»[1]، إذن فالشعر يثير العواطف للشعور باللذة وبالتالي فهو فن راقي.

نستنتج أن الفن عند أرسطو هو محاكاة الطبيعة، لكنها محاكاة إيجابية يتم من خلالها إدراك النقص الذي عجزت الطبيعة عن إتمامه، وهو الجمال الذي يطمح إليه الإنسان.

و- التصورات الجمالية في الفكر الإسلامي:

إن الفكر وطريقة تلقي العلم الفلسفي للمسلمين له ميزة خاصة عن باقي الأمم، كما أن لديهم طريقة عيش معينة ورؤية للحياة والكون محددة تعكس اعتقادهم الديني وتوجههم المذهبي «**فقد تميزوا بميزة لم تتوفر لغيرهم وهي أن يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية**»[2]. التي ليس لها نظير ولا مثيل لها «**هي الإسلام الذي انتشر بين الأمم والحضارات بفضل الفتوحات العربية الإسلامية وشكل هذا تحولات كبرى في جميع المستويات الدينية والفلسفية والسياسية والاجتماعية أسهمت في تطور شتى المعارف والعلوم والفنون وخاصة الأدب والعمارة والزخرفة والموسيقى**»[3].

فقد أدت هذه الفتوحات الإسلامية إلى تقارب بين الشعوب.

1- إحسان عباس: فن الشعر، دار الشروق، عمان، الأردن، ط01، 1996، ص 138.

2- إياد محمد صقر: معنى الفن، دار مأمون، عمان، الأردن، ط01، 2010، ص 121.

3- كمال بومنير: قضايا الجمالية من أصولها القديمة إلى دلالاتها المعاصرة، ص 39.

«ونلمس التقارب العربي الإغريقي كبير الأثر في البناء الفلسفي الذي انتهجه العرب المسلمون»[1]، حيث تم بناء آراء فلسفية متنوعة **«لاسيما أن الكثير من المسلمين كانوا يرون أن الحقيقة واحدة وأن الفلسفة الإسلامية تلتقي مع الدين لأن أهدافها مشتركة وغاياتها واحدة، لهذا نجد أهم ما تميز الفلسفية الإسلامية أنها فلسفة توفيقية بين الدين والفلسفة»**[2]. باعتبار أنهم على الإسلام.

«ينظر المسلمون إلى التذوق الجمالي بإدراك ذهني واعي، يكشف عن جمال المضمون ومدى عذريته وأصالة تركيبية، ويربطون جميع أنواع الجمال بالجمال الإلهي، وتشارك فيه وترتبط به، ولأن الله جميل يحب الجمال إلا أن هذه النظرة الجمالية إذا ارتبطت بنوع من الفتنة أو الشرك، فإن هذا يعد حراما بنظر بعض الفقهاء بالدين»[3].

أبو حامد الغزالي (445هـ-505هـ)[*]: يعتقد أبو حامد الغزالي بأن: **«الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس، وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة، والجمال الأول يدركه الصبيان والحيوان، أما الجمال الثاني يختص بإدراكه أرباب العقول ولا يشاركهم في إدراكه من لم يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، ثم يضيف الغزالي: فمن رأى حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجمالية الباطنية التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العمل والقدرة، كما يؤكد أن الجميل محبوب، والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ضد له، الصمد الذي لا منازل له، الغني الذي لا حاجة له، القادر الذي يفعل ما يشاء»**[4].

1- إياد محمد صقر، معنى الفن، ص 121.

2- كمال بومنير: قضايا الجمالية من أصولها القديمة إلى دلالاتها المعاصرة، ص 122.

3- المرجع السابق، ص 119.

*- فيلسوف ورجل دين إسلامي، تلقى العلم على يد علماء كبار، اهتم بدراسة الفلسفة وعمل على نقدها.

4- فداء حسين أبو دبسة وآخرون، فلسفة علم الجمال عبر العصور، نقلا عن: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج02، ص 306.

إذن أبو حامد الغزالي يؤكد على الجمال الباطني الذي يدركه أرباب العقول، ويجعل مصدر الجمال المطلق الذي لا نظير له هو الله عز وجل، «**وأضاف أن الجليل هو الموصوف بنعوت الجلال هي العز والملك والتقدس والعلم والغنى والقدرة وغيرها من الصفات الذي ذكرناها**»، فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق (...) ثم صفات الجلال التي نسبت إلى البصيرة المدركة كما سميت جمالا مسمى المتصف به جميلا، واسم الجميل في الأصل وضع للصورة الظاهرة المدركة بالبصر مهما كانت حيث تلائم البصر وتوافقه، ثم نقل إلى الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر حتى يقال سيرة حسنة جميلة، ويقال خلق جميل وذلك يدرك بالأبصار والصورة الباطنة إذا كانت كاملة متناسبة جامعة جميع كمالاتها اللائقة بها كما ينبغي، وملائمة لها ملائمة يدرك صاحبها عند مطالعتها من اللذة والبهجة والاهتزاز أكثر مما يدركه الناظر بالبصر الظاهر إلى الصورة الجميلة، فالجميل الحق المطلق هو الله سبحانه وتعالى فقط، لأن كل ما في العالم من جمال وكمال وبهاء وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته، وليست في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي مثنوية فيه لا وجوبا ولا إمكانا سواه ولذلك يدرك عارفه والناظر إلى جماله من البهجة والسرور واللذة والغبطة وما يستحق معه نعيم الجنة وجمال الصورة المبصرة بل لا مناسبة بين جمال الصورة الظاهرة وبين جمال المعاني الباطنة المدركة بالبصائر»[1].

أي أن الصورة الجميلة تدرك جمالها القوي الحسية، لتشعرنا باللذة فتنتقل للقلب لتدركها القوى الباطنة.

1- أبو حامد بن محمد الغزالي: المقصد الألسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى، دار ابن حرم، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 115-116.

«فإذا ثبت أنه جليل وجميل، فكل جميل فهو محبوب ومعشوق عند مدرك جماله، فلذلك كان الله عز وجل محبوبا، ولكن عند العارفين كما تكون الصورة الجميلة الظاهرة محبوبة، ولكن عند المبصرين لا عند العميان»[1].

ينتج عن إدراكنا الباطني جمال يؤدي للحب.

«ونبه على أن الجليل الجميل من العباد من حسنت صفاته الباطنة التي تستلذها القلوب البصيرة، فأما الجمال الظاهر فنازل القدر»[2].

إذا كانت الصورة الجميلة ظاهرة فإنها تدرك عن طريق الحواس، وإذا كانت تتصف بالجلال ومعانيه، فتدرك بالقلب.

يمكن أن يقسم الغزالي الإحساس بالجمال إلى ثلاثة أقسام، جمال حسي ظاهري يدرك بالحواس، وجمال بطني وجداني يدرك بالقلب الذي عبر عنه بالبصيرة، وجمال عقلي يدرك بالعقل.

ابن خلدون (1332–1406) *

يعتبر ابن خلدون الفنون صناعات فإنه **«تحدث عن صناعة الشعر ووجه تعلمه حيث اعتبره فن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات، إلا أن الآن إنما نتكلم في الشعر الذي للعرب، فإن أمكن أن يجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودهم من كلامنا، وإلا فلكل لسان أحكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المعنى إذ هو كلام يفصل قطعا قطعا، متساوية في الوزن متعددة في الحرف الأخير من كل قطعة، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا**

1– أبو حامد بن محمد الغزالي: المقصد الألسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص 116.

2– المصدر نفسه، ص 117.

* عبد الرحمن بن خلدون، مفكر ومؤرخ إسلامي، عرف بكتابه إلهام كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر.

ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه رويا وقافية وتسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة، وينفرد كل بيت منها فادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وبعده وإذ أفرد كان تاما في بابه في مدح أو تسبب أو رثاء فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت»[1].

صنف ابن خلدون الشعر من فنون الكلام، يتميز بمجموعة من الأحكام شكلا ومحتوى.

«إضافة أن الملكات اللسانية كلها إنما تكتسب بالصناعة والارتياض في الكلام حتى يحصل شبه في تلك الملكة، والشعر من بين الفنون صعب المأخذ منه بأنه كلام تام في مقصوده ويصلح أن ينفرد دون سواه فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام في قوالبه التي عرفت له في ذلك»[2].

اعتبر ابن خلدون الملكات اللسانية صناعات ومنها الشعر.

كما أن تناول الغناء والموسيقى على غرار الشعر، فعن المسموع يقول: **«والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة»**[3].

وعن المرئيات يقول: **«وأما المرئيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب الأوضاع في أشكالها وكيفياتها، فهو أنسب عند النفس وأشد ملائمة لها»**[4].

فابن خلدون يجعل من الفنون صناعات تكتسب هذه الملكات بالمثابرة والاستمرار في ممارستها.

1- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، موفم للنشر، ج 2، الجزائر، د ط، 1991، ص 649.

2- المرجع نفسه، ص 650.

3- المرجع نفسه، ص 442.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

هـ- التصورات الجمالية بين العصر الحديث والمعاصر:

«قال الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط واصفا للجمال بأنه «**شكل من الغائية في شيء ما بقدر ما يجري تصوره فيه بمعزل عن عرض غاية**»[1].

نجد كانط يجعل الجمال حكم مشترك، فهو تأمل عقلي بعيد عن المنفعة الحسية، «**وفي هذا السياق نجد أن الشاعر والفيلسوف الألماني فريد ريك شيلز عرف الجمال في الفن بأنه اللعب على اعتبار أن الطبيعة البشرية إنما تتحقق على الوجه الأكمل في لحظات اللعب لا في لحظات العمل**»[2]. فهو يعتبر الجمال لحظة من لحظات اللعب وبالتالي الفن غير مقيد.

«**ويعتبر تعريف هربرت ريد من أهم التعريفات التي ظهرت في الجمال والذي يستند على أساس مادي حسي مفاده أن الجمال هو وحدة العلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا**»[3].

أي تناسب وتوافق أجزاء الأشياء الحسية.

أما الفيلسوف جون ديوي يرى الجمال على أنه: «**فعل الإدراك والتذوق للعمل الفني**»[4]. أي أن الجمال يكمن في التأمل العقلي الذي يشعرنا بقيمة العمل الفني.

وهيغل أكد أن الجمال يدخل في جميع ظروف حياتنا: «**فهو ذلك الجني الأنيس الذي تصادفه في كل مكان**»[5].

كما نجد الفيلسوف جورج نيستان يتحدث عن الإحساس بالجمال في قوله:

1- محمد عبد الحفيظ: دراسات في علم الجمال، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط 4، 2004، ص 6.

2- المرجع نفسه، ص 7.

3- آمال حليم الصراف: علم الجمال فلسفة وفن، دار البداية، عمان، الأردن، ط 1، 2012، ص 13-14.

4- المرجع نفسه، ص 14.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

«ولكننا لا نرى في ذلك تميز الطبيعة اللذة الجمالية، بل وصفا لحديثها ودقتها، ولا يقنع بهذا التمييز فيما يبدوا إلا أولئك الذين هو دون غيرهم حساسية إزاء الجمال»[1].

يعتقد جورج نيستان أن الإحساس بالجمال هو حكر على ذوي الإحساس المرهف إزاء الجمال الذي يؤدي إلى اللذة الجمالية.

المطلب الثاني: مفهوم الفن

أ- لغة: جاء في لسان العرب أن مادة فن تعني: **«الفن: واحد الفنون، وهي الأنواع والفن الحال، والفن: الضرب من الشيء والجمع أفنان وفنون وهو الأفنون (...) والرحل يفنن الكلام أي يشتق في فن بعد فن والتفنن فعلك، رجل مفن: يأتي بالعجائب»**[2].

أما في أساس البلاغة فجذر ف ن ن تعني **«أخذ أفانين الكلام وافتن في الحديث وتفنن فيه، وجرى الفرس أفانين من الجري وافتن في جريه ورجل وفرس مفن، وفنن فلان رأيه: لونه ولم يستقم على واحد، والخيل يتفنن فنان السبب وأفانينه وهي خصله، ورجل فينان الشعر وغض فينان كثير الأفنان، وهو في ظل عيش فينان»**[3].

فهذان التعريفان اللغويان للفن يشتركان في كون الفن فن الحديث والكلام، ولكنه بطريقة التفنين والإجادة، وذلك يظهر في العبارتين (الرجل يفنن الكلام أي يشتق في فن والتفنن فعلك رجل مفن: يأتي بالعجائب) وعبارة (أخذ أفانين الكلام، وافتن في الحديث وتفنن فيه)

1- آمال حليم الصراف: علم الجمال فلسفة وفن، ص 15.

2- ابن منظور: لسان العرب، مادة فنن، مج 13، دار صادر، بيروت، لبنان، ط01، 1990، ص 326.

3- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، ج 2، مادة فنن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ص 38.

نستنتج أن المعاجم اللغوية تشترك في كون الفن الحال والضرب من الشيء أي التنويع والاختلاف.

ب- اصطلاحا:

«في اللغة الهندوأوروبية Indo-eoropen للثقافات الكبرى، سواء القديمة منهاأو الحديثة، لا يوجد أصل واحد تشترك فيه المصطلحات المتباينة التي تشير إلى النشاط الفني Artistic Activity ففي اللاتينية l'arte، وفي الفرنسية L'art، وفي الاسبانية el arte، في الانجليزية art، وجميعها ترجع إلى المصطلح اللاتيني القديم والوسيط ars»[1].

«ولكن بعيدا عن البحث الاتيمولوجي الخالص وانطلاقا إلى التحقق الفعلي من استعمال هذه الكلمات نجد أن معانيها متماثلة ببساطة ووضوح أو بمعنى أخر أنها متطابقة رغم تباين اللغات»[2].

نلاحظ من خلال التعريفات السابقة أن كلمة فن في اللغات لها عدة ألفاظ، لكنها تصب جميعا في معنى واحد.

«وهكذا نجد أن الفن لم يكن يعني فحسب ما نراه الآن بل كان يتسع ليشمل الأخلاق والحرف والإرشاد وغير ذلك»[3].

يمكن القول بأن الفن هو إحدى أهم الوسائل التعبيرية التي يستعملها الإنسان للتعبير عما يريد أن يحققه، باستخدام وسائل قد تكون كلمات أو ألوان أو آلات موسيقية ... إلخ، وبالتالي فالتعبير واحد في الفن، لكن المادة مختلفة فيما يحقق للفن جماليته، فالفن هو المهارة الإنسانية والمقدرة على الابتكار والإبداع والخلق والمبادرة.

1- رمضان الصباغ: جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط 1، 2003م، ص 238-239.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص 242.

المطلب الثالث: مفهوم القصة القرآنية

1- مفهوم القصة:

أ- لغة:

تتعدد المفاهيم اللغوية لمصطلح القصة، واختلفت من معجم لآخر، إذ نجد أن لفظة القصة تعني «**الخبر وهو القصص وقص عليا خبرة يقصه قصا وقصصا، أورده والقصص: الخبر المقصوص، والقصص جمع القصة التي تكتب وتقصص كلامه حفظه، وتقصص الخبر: تتبعه، واقتصصت الحديث: رويته على وجهه والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها، وقص آثارهم يقصها قصا وقصصا وتقصصها يشبعها بالليل وكتلك اقتس أثره وتقصص**»[1]. وجاء في موضع آخر: «**قص خبري فلان على فلان قصصا، وقص أثره وقص جناح الطائر أي قطع**»[2]. ضف إلى أن كلمة قصة تعني: «**رواية، حكاية، أسطورة**»[3].

فالقصة، اتباع الأثر، والأمر والخبر والشأن والحال.

ب- القصة اصطلاحا:

لقد حظيت القصة باهتمام كبير من طرف الباحثين والدليل على ذلك، تعدد المفاهيم التي أعطيت للقصة، ومنها: «**فن أدبي إنساني يتخذ من النثر أسلوبا لها تدور حول**

1- ابن منظور: لسان العرب، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص 689.

2- أبو ابراهيم الفارابي: ديوان العرب، تر: عادل عبد الجبار، مكتبة لبنان، ط 1، 2003، ص 510.

3- السراج الوجيه: معجم المترادفات والعبارات الاصطلاحية والأضداد العربية، مكتبة لبنان، ط 1، 2003، ص 82.

أحداث معينة يقوم بها أشخاص في زمان ومكان ما، في بناء فني متكامل تهدف إلى بناء الشخصية المتكاملة»[1].

ما يعني أن القصة من الفنون الأدبية النثرية تسرد أحداث الشخصيات بطريقة فنية.

وقد ورد في موضع آخر أن القصة: «**سرد يقدم مجموعة من الحقائق عن الإنسان بطريقة مشوقة، أو تعرض بعض المواقف والأحداث والموضوعات ذات العلاقة بشخصيات متعددة**»[2].

وهذا يعني أن القصة تجسد الواقع الإنساني بأسلوب أدبي مشوق، كما جاء في كتاب "تطور البنية الفنية في القصة المعاصرة: لـــ: شريط أحمد أن: «**القصة القصيرة تعبير عن موقف واحد للشخصية الواحدة وتتميز بوحدة حدثها وزمانها ومكانها، وتشكيل ما يسمى بوحدة الأثر أو الانطباع**»[3].

ضف إلى هذه التعاريف المفهوم الذي أعطاه إيمبرت للقصة حيث يقول: «**هي عبارة عن سرد نثري موجز يعتمد على خيال قصاص فرد برغم ما قد يعتمد عليه من أرض الواقع، فالحدث الذي يقوم به الإنسان أو الحيوان الذي يتم إلباسه صفات إنسانية أو الجمادات، يتألف من سلسلة من الوقائع المتشابكة في حبكة، حيث نجد التوتر**

1- محمد عبد الرؤوف الشيخ: أدب الأطفال وبناء الشخصية منظور أدبي إسلامي، دار القلم، دبي، ط 2، 2004، ص112.

2- أحمد حسين اللقاني وأحمد الجمل: معجم المصطلحات التربوية المعرفية في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1419 هـــ، 1999م، ص 183.

3- شريط أحمد شريط: تطور البنية الفنية في القصة المعاصرة، 1941-1985، اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص42.

والاسترخاء في إيقاعهما التجريدي من أجل الإبقاء على يقظة القارئ، ثم تكون النهاية مرضية من الناحية الجمالية»[1].

وهذا يعني أن القصة سرد نثري من خلق الإبداع يستند فيه الكاتب إلى الواقع المعاش، وينقل تلك الأحداث بلسان شخصيات ذات صفات مختلفة، بحيث قد ترد على لسان حيوان أو جماد أو غيرها.

أما شكري عياد فيرى أنها: «**تسرد أحداثا وقعت حسب تتابعها الزمني مع وجود العلية**»[2].

حيث جعل شكري عياد في تعريفه هذا للقصة شرطان: التتابع الزمني للأحداث والعلية.

نستنتج في الأخير أن القصة فن أدبي عالمي قديم، ظهر عند معظم الشعوب والأمم، وهي عبارة عن حدث يدور في زمن معين وفق شخصيات، وهي أكثر الأنواع الأدبية شيوعا.

2- القصة في القرآن الكريم:

تتميز القصة القرآنية عن غيرها من الفنون، وقد كانت محور اهتمام لكثير من الأدباء والنقاد «وقصص القرآن أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة،

1- عادل الفريجات: النقد التطبيقي للقصة القصيرة في سوريا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 1، 2002، ص 10-11.

2- محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دارسة في نقد النقد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 1، 2003، ص 154.

والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه»[1].

فالقصة القرآنية قصة واقعية لا مجال للخيال فيها، ولا مجال للهزل، ذلك أن: «**القصص القرآني بوصفه أعظم المصادر وأوثقها في أيدي العرب لمنهج متميز في قص القصص باللغة العربية، تكفي للكشف عن الفراق الهائل بين القصص القرآني وقصص الشعوب واللغات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات، بلغ هذا الفارق حد ما بين الجد والهزل وما بين الحق والكذب**»[2].

فالفارق شاسع في جميع المجالات والمقاصد والأغراض، والغاية من القصص القرآني إرشاد الناس إلى الطريق الصحيح والصراط المستقيم يقول تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝٣﴾[3].

فالمتأمل للقصص القرآني يرى تميزه عن غيره من القصص وما شابهها من الفنون كالرواية والمسرح، لذا يعتبر أسلوب القصة من أكثر الأساليب التي اعتنى بها القرآن الكريم عناية خاصة، لما فيه من عنصر التشويق والاتعاظ والاعتبار.

1- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط 7، 1995، ص 300.

2- أحمد موسى سالم: قصص القرآن في مواجهة، أدب الرواية والمسرح، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1978، ص 211.

3- سورة يوسف، الآية 3.

المبحث الثاني: القصة النشأة والتطور

المطلب الأول: القصة عند العرب:

لقد كانت القصة شكل من أشكال التعبير عند العرب، حيث وجدت بأشكال مختلفة **«إن الحديث عن أولويات القصة يعني الحديث عن العقلية، التحليلية التي يمتكلها العرب في القدرة على الإبداع في المزج بين عناصر القصة بقدر ما تستحق، وتهيئ فرصة التقدير في إطار العلاقات المحددة فيها، وتتمكن من تقويم الأداء المناسب الذي يجعل الحوار موافقا لطبيعة الشخصية ومطابقا لمسلكها الذي يتقاطع على امتداد المواقف التي يؤديها، وتملك ساحة التصوير التي توظفها لتصب في النهاية المطلوبة أو الغاية التي ترمي إليها لتتكامل الوحدة فيتحقق هذا التكامل، إن هذا الاستيعاب الشامل والاقتدار الكلي الذي يمكن أن يحيط بهذا العمل والتمكن من خلق الجو المناسب، وإضفاء الخيال الذي يحرك الصورة باتجاه الفعل ويلون الموقف الذي يعطي القصة جانبا من التأثير لحمل القارئ على المتابعة أو التشويق لا يمكن أن يتحقق إلا بإرادة قائمة واقتدار فني في نطاق الظرف المحدد لمعنى الفنية»**[1].

على هذه الفكرة استند بعض المؤرخين العرب وذهب بعض الباحثين إلى **«أن القصة القصيرة قد وجدت طوال التاريخ بأشكال مختلفة مثل قصص العهد القديم، ويعتبرون الأحدوثة وقصص القدوة الخلقية في زعمهم هي أشكال العصر الوسيط للقصة القصيرة، ولكن الكثير من الباحثين يعتبرون أن المسألة أكبر من أشكال مختلفة للقصة القصيرة، فذلك الجنس الأدبي يفترض تحرر الفرد العادي من ربقة التبعات القديمة ظهوره كذات فردية مستقلة تعي حرياتها الباطنة في الشعور والتفكير، ولها خصائصها**

1- نوري حمودي القيسي: تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 38، عام 1990م، ص07.

المميزة لفرديتها على العكس من الأنماط النموذجية الجاهزة التي لعبت دور البطولة في السرد القصصي القديم»[1].

بين هذا وذلك يمكن أن يعتبر هذا النوع من القصص عند العرب القدماء نثرا فنيا وجد في تلك الحقبة الزمنية بما يناسب طبيعتهم، وليس فنا مستحدثا ومجرد محاكاة لقصص الغرب، وارتباط الفن بالإنسان منذ القدم يعد ضرورة لنمو فكره وتطوره.

«على الرغم أن القصة لم تكن موجودة قديما بمفهومها الحديث حتى في الأدب الأوروبي قبل منتصف القرن الثامن عشر فإنها كانت معروفة عند العرب وقد مارسوها في وقت مبكر، بل وإن الأوروبيين أنفسهم مدينون بقصصهم للعرب ولكنهم ساروا بعد إذن في طريق التطور والنهوض، فنهضت قصصهم معهم وتطورت بينما جمدت القصة العربية وتقهقرت بجمود العرب، وتقهقرهم وظلت كذلك زمنا طويلا إلى أن نهض العرب من جديد فنهضت قصصهم وتطورت، وأخذت تبلغ نضجها، وتماما في القرن الثالث الهجري، فالعرب منذ العصر الجاهلي كانت لهم قصص وأخبار تدور حول الوقائع الحربية خاصة التي تتعرض لأخبار الأبطال والمشاهير باعتبارها موردا ثرا من موارد القصص، وما تروي عن أساطير الأولين مثل قصة عنترة وقصة الملك سيف بن ذي يزن وقصة أبي زيد الهلالي وكلها تدور حول الحب وقصص الفرسان، ومن تجسدت في أعمالهم قيم البطولة، وكانت أخبارهم سردا لأحداث الرواة، وبطولاتهم ساحة لتحريك المشاعر التي تشد المتلقين، ولم ينسى الرواة أبرز الشخصيات التي كانت نماذج عليا في فصاحة الرأي والاهتداء إلى مواطن الصواب والتعقل في الأحكام»[2].

1- نوري حمودي القيس: تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، ص 33.

2- فاروق خورشيد: فن الرواية العربية، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1975، ص 71.

أ- القصة في العصر الجاهلي:

إن العرب في جاهليتهم اهتموا بالنثر الفني اهتماما ظهر أثره وعرفت خواصه في خطبهم ورسائلهم ومفاخراتهم وأسمارهم، «**ولكن ما عرف عن العرب من إهمال الكتابة والتدوين بسبب شيوع الأمية مما أضاع معرفة مدى اهتمامهم بالبديع والبيان والتصوير**»[1].

يعد القرآن الكريم شاهد من شواهد النثر الفني عند العرب، ولم يكن الإسلام موجودا قبل القرآن حتى يغير أوضاع التعبير وأنماط الأساليب إذن القرآن الكريم يؤكد وجود النثر الفني في عصر الجاهلية، وفي القرآن الكريم نص صريح يؤكد أن الرسول الكريم لا يرسل إلا بلسان قومه، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾[2].

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل بلسان قومه، الذين خبروا النثر القائم على الفنية، والقصص القرآنية دليل على ذلك، لذا فإن العرب عرفوا القصص في أدبهم منذ أقدم العصور في شكل قصص قصيرة وروايات ووقائع وسرد حكايات ذات دلالات قصصية، الأمر الذي نستنتج منه أن «**العرب عرفوا أشكالا قصصية متعددة الخصائص والملامح والأهداف، وإن لم ينص نقادهم على اعتبار هذه الأشكال نوعا أدبيا له ملامحه وخصائصه**»[3].

ففي العصر الجاهلي نجد أن العربي قد «**نسج قصصا وحكايات تصور البيئة وتعبر عن حياتهم وتدرس نفسياتهم وتسير في أغوارها وتصور حياتهم بمختلف بيئاتهم**

1- أحمد أبو سعد: فن القصة، دار الشروق الجديد، عمان، ط 1، ج1، 1959، ص 44.

2- سورة إبراهيم، الآية 4.

3- سعيد الوراقي: اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، مصر، ط 2، 1984، ص 25.

وأطوارهم بما فيها من أسمارهم وأمجادهم، وترسم في شتى ميادينهم الفكرية والمعيشية والأخلاقية رسم يتجلى فيه وجه مجتمعهم، وتتضح سماتهم وتظهر نفسيات أهله ظهورا يكشف عن مخابئها وأغوارها، وبيين أثر الطبيعة وتقليات المجتمع أثناء حالات الرضا والفرح والقهر والعبودية والدل والاقطاع وفترات تعدد الآلهة والإيمان بمجتمع القوي الخفية وتصوير أيام اللهو والمجون وليالي الأنس والأفراح يتفنن فيها القصاصون ما شاء لهم التفنن ويختلفون عليها من أنفسهم ويلونونها بألوان عيشهم ومطمح رغباتهم، ولم يعرفون عملا مركبا تركيبا فنيا تدخل الحبكة الخيالية عنصر أساسا فيها»[1].

من خلال هذا القول أن القصة في العصر الجاهلي كانت مرآة عاكسة لأوضاع المجتمع وحياته، كذلك صورة معبرة تنقل علاقة الفرد بالمجتمع والطبيعة وأحلام الإنسان البدائي وتخيلاته.

ب- القصة في عصر صدر الإسلام:

اختلفت الآراء حول القصة في صدر الإسلام، ورد في النثر الفني لزكي مبارك **«إن العرب لم يكن لديهم وجود أدبي ولا سياسي قبل عصر النبوة، وأن الإسلام هو الذي أحياهم بعد موت، ونبههم بعد خمول، وما نقله الرواة لا يكفي لتعيين أساليب النثر في العصر الجاهلي وبيان الاتجاهات العقلية التي كان يرمي إليها الكاتبون إذ ذاك، وهو -مع قتله- مما وضع في العصر الأموي وصدر العصر العباسي لأغراض دينية وسياسية، وهو لهذا لا يعين مدرسة نثرية ولا مذهبا اجتماعيا، ولا رأيا عاما، إنما يعين أذواق واضعيه ومذاهبهم السياسية واتجاهاتهم الدينية»**[2].

1- أحمد أبو سعد: فن القصة، ص 49.

2- زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر، ط 1، 1987، ص 10.

يذهب أحمد أبو سعد إلى أنه «**كان للعرب قبل الإسلام نثر فني يتناسب مع صفاء أذهانهم وسلامة طبائعهم ولكنه ضاع لأسباب أهمها شيوع الأمية وقلة التدوين، وظن الكثيرون أن الدين الإسلامي بتفويضه للمعتقدات الدينية قبل الإسلام والخوارق التي كانت سائدة آنذاك قد قضى على القصة العربية وحرمها من ينبوع ثر**»[1]. والحق إن الدين الإسلامي قد عوض القصة الإسلامية بما في كتابه الكريم من القصص وروائع الأمثال في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[2].

القصص والأمثال في القرآن الكريم تعتبر أول صورة من صور القصص الفني ونقطة البدء في دراسته، وهذا ما أردنا الوصول إليه من خلال تحليل العناصر الفنية في قصص القرآن الكريم وقصة نوح عليه السلام.

استخدم القرآن الكريم القصة كما استخدمتها سائر الديانات من قبله لما كان لها من سلطان على قلوب الناس، فخاطب رب العزة بها النبي صلى الله عليه وسلم ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾[3]. فاستمال القلوب وسلب العقول بهذا الإعجاز العظيم، جاء في السيرة «**إن النظر بن الحارث ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم، كان يجلس إلى الناس ويقص عليهم أخبار فارس وقصص رستم واسنفديار، ولما رأى تأثر الناس بقصص القرآن الكريم، وإعراضهم عن قصصه حدثهم بقوله (إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وما أحاديثه إلى أساطير الأولين، وأنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه،**

1- أحمد أبو سعد: فن القصة، ص 61.

2- سورة النحل، الآية 60.

3- سورة يوسف، الآية 3.

أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة) ثم إذا فرغ من قصصه قال: بماذا محمد أحسن حديث مني؟»[1].

وهذا يدل على ولع العرب وشغفهم بالقصص، وأن القصص القرآني لم يكن إلا استجابة لهذا الولع، وأن الآية القرآنية التي نزلت تصف قصص القرآن بأنه هو القصص الحق وليس قصص النضر بن الحارث وغيره ممن تصدوا للدعوة المحمدية، ويزعمون أنهم ينافسون قصص القرآن، وتبقى قصص الأنبياء موضع اهتمام المؤرخين الذين فصلوا أخبارهم حتى كانت مصدرا خصبا من مصادر التاريخ، وينبوعا صافيا من ينابيع الأدب، وضربا فنيا من ضروب القصص لما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث، وما روي فيها من نثر وشعر، وما تضمنته من أخبار بقيت أصداؤها تتجاوب أجيالا لما حملته من مأثور الحكم وبارع القول وأجمل المواعظ.

المطلب الثاني: القصة في العصر الحديث

نشأة القصة في الأدب العربي الحديث:

تتطور مفهوم القصة في العصر الحديث، حيث انتشرت انتشارا كبيرا بين الشعوب العربية «في إرثنا الفكري ذخائر تعبت في صنعها الأجيال، ونفائس غنيت بقيمتها العبقريات، فهي إن هانت على العصور التالية فقد كرمت في صدور الأيام الخالية، وإذ عرض لها ألا تحتل من المتأخرين مكان التجلة والتقليد فقد كانت من السابقين في موضع القدوة والتمجيد فلعل أروع مثل يتجلى في هذا المقام تلك الطريقة الفذة التي سيطرت في غابر الزمان، طريقة نبعت من صميم الفن الأصيل واتشحت بثوب القصة الجميل،

1- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، مصر، ط01، 2001، ص 90.

فجمعت بين صنع الكاتب المدقق وخيال العبقري المحلق وبدأت تلك الطريقة بأحاديث من جيد الكلام، ثم تجلت بالصنعة البديعة ودار الكلام حول أحداث يتجدد مثلها مع الأيام»[1].

لا يمكن لباحث أن يقر بالموطن الذي نشأت فيه القصة على وجه التحديد وذلك ببساطة لأن القصة خصيصة إنسانية فهي حكاية أو قصة كانت دوما في وجداننا حتى صارت جنسا أدبيا متميزا، فنظر النقاد والأدباء لهذا الفن وأصوله.

كما أن القصة باعتبارها نشاطا إنسانيا، فإننا لا نستطيع تحديد موطنها بدقة، وإن كان أهل كل حضارة يتنازعون بأحقيتهم في القصة، ويعتبرون ولادتها من رحمهم، ونجد أن القصة على لسان الحيوان مادة يعتمون عليها في قصص الأمم السابقة.

فإذا كانت فنون النثر قد احتلت في أدبنا الحديث المكانة التي كان يحتلها الشعر في الأدب القديم «**فلعل القصة أصبحت بين هذه الفنون أرفعها مكانة وأقواها تعبيرا عن المعاني الفنية، لأنها تطورت عبر مراحل متعاقبة جعلتها ترتكز على ركائز قوية خلال القرن الماضي ابتداء من الترجمة ثم المحاكاة ثم الإبداع، وعندما أشرقت شمس النهضة العربية –التي تعتبر محورا فكريا وثقافيا كبيرا– كان كل ما يعرف من القصص هو القصص الديني الذي جاءت به الكتب السماوية والقصص الذي روي عن السلف وقصص التراث الشعبي وحكاياته وأساطيره والقصص العربي القديم**»[2].

نلاحظ من خلال القول السابق أن القصة تسبق الفنون الأخرى من حيث التعبير الفني كونها مرتكزة على عناصر قوية، أما في عصر النهضة، فلم يعرف العرب إلى قصص القرآن والقصص العربية القديمة، «**فالقصة القصيرة بمفهومها الفني فن حديث**

1– جميل سلطان: فن القصة والمقالة، دار الأنوار، بيروت، ط1، 1967، ص05.

2– إقبال هيكل: المدخل لدراسة الفنون الأدبية، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر، ط1، 1982، ص 54.

على الأدب العربي، غير أنها كانت موجودة في الأدب العربي القديم على شكل حكايات لا تتفق مع المفهوم الحديث إلا في بعض الملامح التي لم يقصد إليها قصدا»[1].

لذا فالقصة نشاط إنساني، كانت تروي على ألسن القصاصين بغرض العبرة والإرشاد، لذلك نلمس قدرة القاص من سحر البيان «**بينما يرى بعض النقاد أن القصة في الأدب العربي الحديث أمر مبتدع لا أصل له في الأدب العربي القديم، وإنما هو تقليد محض ولج إلى أدبنا عن طريق الترجمة، فكان لا بد أن نحاكيه، ولم يترك لنا العربي الأصيل في القصة تراثا يعتد به، لأن فكرته البدوية وحياته في بقاع قاحلة متشابهة قلت فيها ألوان الطبيعة، وكذلك قناعته بالضئيل القليل من أسباب العيش هي من العوامل التي أبعدته عن إطلاق العنان لخياله في تصوير الحياة، فقد أشاروا إلى ميراث العرب من القصص ككليلة ودمنة والمقامات وألف ليلة وليلة التي يراد بهذه الأعمال التأنق في الصياغة والزخرف في التعبير لا ينبغي لهذه الأنواع من القصص أن تنبع من بينها تلك القصة التي ترقرقت في أدبنا الحديث، ولم تسهم فيها إلا بالنذر اليسير**»[2].

ولكنهم لم ينكروا القصص العرب انكارا تاما، فالنزعة القصصية نزعة أصيلة في الإنسان أصالة التعبير الفني عنده، وإن الحضارة العربية أخرجت كغيرها من حضارات الشعوب فنا قصصيا يمثلها، وما الأساطير والخرافات وغيرها من ألوان النثر في العصر الجاهلي وما أعقبه إلا أشكالا من البناء القصصي الكامل الذي يتغلغل في أعماق النفس الإنسانية، ومظهرا من مظاهره تغير بتغير الزمان والمكان، واختلف باختلاف الملابسات الاجتماعية والمذاهب العقلية السائدة، وتطور بتطور الإنسان نفسه «**وإذا كان هذا الاتجاه إلى الغرب قد أتاح للفن القصصي أن يأخذ مكانه في الأدب العربي الحديث فإن الاتجاه**

1- إقبال هيكل: المدخل لدراسة الفنون الأدبية، ص 54.

2- محمد تيمور فن القصص دراسات في القصة والمسرح، مكتبة الآداب ومطبعتها بالحماميز، القاهرة، د ط، د س، ص 64.

إلى الماضي وما يزخر به من تراث قد جعل من هذا الفن منذ اليوم الأول فنا عربيا أصلا وثيق الصلة بينابيع حياتنا»[1].

فقد كانت المقامة هي «**الإرهاصة الأولى لفن القصة القصيرة العربية بشكلها المتعارف عليه الآن، وبعد فترة خفت صوت الحضارة العربية ليتلقف الغرب منجزها الفكري والعلمي، فأضاف إليه بعد أن عكف على دراسته وتحليله وكان لهذا الفكر دور مهم في النهضة الغربية الحديثة، ويجب على الدارس لنشأة القصة في الأدب العربي الحديث أن يقف قليلا عند منابع هذا الفن وأصوله، والتي يرى بعض الباحثين أنها تتمثل في منبعين أساسيين، المحاولات التي قدمت الشكل القصصي في الأدب العربي القديم من ناحية، وتيار النهضة الحديثة من ناحية أخرى، لتمثلان تيار إحياء الثقافة القديمة وتيار الأخذ بأساليب الفكر الغربي، وهو بداية الترجمة القصصية وأثرها**»[2].

غير أن القصة في العصر الحديث قد تطورت شكلا ومضمونا ولا سيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وما دخل على أساليبها من تغيير، وعلى موضوعاتها من ثراء، واتساع مدى ورحابة أفق، وارتبطت في تطورها بعوامل كثيرة منها الترجمة والصحافة والطباعة، لذلك يعتبر النقاد «**أن أول محاولة لنقل القصة الغربية إلى اللغة العربية قام بها رفاعة الطهطاوي وكتابه مواقع الأفلاك في وقائع تليماك، وقد ترجمه عن قصة تليماك من أشهر أعمال الأديب الفرنسي فينيلون، حينما كان منفيا (...) فكان بذلك أول من شق طريق التيار الأدبي العربي الذي أخذ منذ ذلك الحين يتدفق على العربية، ويزاحم التيار العربي الأصيل**»[3].

1- محمد طه الحاجري: نشوء فن القصة، مجلة الثقافة، مصر، العدد 21، ص 13.

2- سعيد الوراقي: اتجاهات القصة القصيرة، ص 25.

3- عمر الدسوقي: نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، د ت، ص39.

ثم بدأ هذا الفن في الانتشار، فأخذت مجلة الجنان التي كانت تصدر في بيروت تنشر سلسلة من القصص يكتبها سليم بطرس البستاني ظهرت القصة كفن أدبي في بداية القرن العشرين، وكان لها ذيوع كبير، وتذهب بعض الآراء إلى أن أول قصة قصيرة عربية بالشكل المتعارف عليه كانت قصة (في القطار) لمحمد تيمور، والتي نشرت في جريدة (السفور) سنة 1917، بينما هناك أراء أخرى تقول بأن أول قصة قصيرة عربية تظهر في العصر الحديث كانت لميخائيل نعيمة، وهي قصة **(سنتها الجديدة)** التي نشرت في بيروت عام 1914.

المطلب الثالث: أنواع القصة ودوافع ظهورها

أ- أنواعها:

عرفت القصة عدة تصنيفات وتقسيمات، إذ صنفها البعض استنادا إلى حجمها، والبعض الآخر صنفها وفق المضمون الذي تحويه، فأما من حيث الحجم فهي أربعة أنواع: الأقصوصة، القصة، القصة القصيرة، الرواية «**فأما الأقصوصة فهي في حدود صفحة واحدة تعبر عن موقف واحد من المواقف التي يمر بها الإنسان أي تحوي على حدث واحد، في حين أن القصة القصيرة أكبر من الأقصوصة فتزيد عن خمس مائة كلمة بينما القصة أكبر من القصة القصيرة، فتزيد عن خمس مائة كلمة، وتتعدد فيها الكلمات والشخصيات، وقد تشمل على أكثر من عقده، إلا أنها جميعها تخدم الحدث الأساسي وترتكز عليه وتبرزه بصورة واحدة.**

وأخيرا فالرواية تتكون من عدة أجزاء وتمتد أحداثها لأكثر من زمن وتتعدد الشخصيات والأحداث أكثر مما تتعدد في القصة فتمتد لعنصرين أو أكثر»[1].

1- محمد عبد الرؤوف الشيخ: أدب الأطفال وبناء الشخصية منظور تربوي إسلامي، ص 119.

وفي أثناء بحثنا عن تقسيمات القصة من حيث المضمون، وجدنا لهذا الجنس الأدبي تصنيفات عدة منها:

1- القصة الشعبية: وهي «**أكثر واقعية من كل صياغة فنية للحياة الاجتماعية لأنها أقرب إلى الجماهير لأنها تعيش في يومياتهم**»[1]، فهي مرآة الشعب تتعايش معه عبر مراحل حياته.

2- القصة الإسلامية: «**إنها تلتزم بالرؤيا الإسلامية التي تبناها القاص في مجموعاته، وهو التزام لم يحد من حريته الإبداعية ولا من خياله الجامح**»[2].

ومن خلال هذا المفهوم يتضح لنا أن هذا النوع القصصي قد استمد مادته من الشريعة الإسلامية، ومثال ذلك يونس عليه السلام وما ورد في قصة أهل الكهف وغيرها من القصص التي يزخر بها النص القرآني الكريم.

3- القصة البوليسية: وهي «**لون من الأدب القصصي الخيالي سيتناول جريمة محيرة، وعددا من مفاتيح الحل مع شرطي لحل آخر**»[3]، يعتمد هذا النوع على جانب الخيال وهو أقل انتشارا من الأنواع الأخرى.

4- القصة الفكاهية: وهي «**فن أدبي إنساني تتخذ منا الفقر أسلوبا لها تدور حدث فكاهي من جانب الشخصيات في زمان ومكان معينين وبناء فني متكامل تهدف إلى التسلية والامتاع إلى جانب تنمية الشخصية**»[4]، تنقل الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها الفرد في قالب فكاهي.

1- مبروك دريدي: القصة الشعبية في منطقة سطيف والتشكيل الفني والوظيفي، جمع ودراسة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004، ص 43.

2- زهرة بوضرورة: القصة الجزائرية بين الاتباع والابداع دارسة نقدية لقناديل الظلام لعميشي عبد القادر، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2006-2007، ص 139.

3- محمد عبد الرؤوف الشيخ: أدب الأطفال، ص 139.

4- المرجع نفسه، ص ص 119.

5- قصص الطير والحيوان والطبيعة: وهي: «**التي تكون فيه الشخصيات الرئيسية حيوانات أو جماد أو نبات أو نبات أو طير، لكنها تحمل صفات الإنسان حول حدث معين في بيئة زمنية ومكانية معينة وبناء الشخصية**»[1]، حيث تجسد هذه الكائنات شخصية الإنسان وتحمل صفاته.

6- القصص العلمية والخيال العلمي: إن ظهور الكتابات الأدبية في المجال العلمي أدى إلى ظهور هذا النوع القصصي وهو «**فن أدبي إنساني يتخذ من النثر أسلوبا لها، تدور حول حدث علمي مثل: اكتشاف علمي أو حياة عالم أو اقتراح قروض علمية عن الحاضر أو المستقبل قائم على قانون أو حقيقة أو نظرية علمية**»[2]. وينصب هذا الصنف من القصص على موضوعات علمية وتدور أحداثها حول شخصيات بارزة في المجال العلمي.

ب- دوافع ظهور القصة:

لم يكن ظهور القصة محل الصدفة، وإنما ظهرت نتيجة لأسباب هذه الأخيرة التي أدت إلى بروزها، ومن بين هذه الأسباب:

1- الدوافع الاجتماعية: «القصة الاجتماعية تهدف إلى الحملة المفاسد الاجتماعية ومعالجة البؤس الاقتصادي والاجتماعي والأخذ بين الكرامة والحرية الإنسانية»[3].

وهذا يعني أن الظروف الاجتماعية السائدة من مفاسد وبؤس قد ساهمت في ظهور هذا النوع القصصي.

1- محمد عبد الرؤوف الشيخ: أدب الأطفال، ص 153.

2- المرجع نفسه، ص 142.

3- إيمان بقاعي: المتقن في تاريخ الأدب العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص 556.

2- الدوافع التاريخية: وهي: «**قصة تستمد جوها وأشخاصها من بطون التاريخ المملوءة بالقصص، ولا سيما التاريخ العربي الذي تتمثل فيه أجواء غنية بالحوادث والبطولات والمكارم، وكان جرجي زيدان الرائد الناجح في هذه المحاولة، فقد درس التاريخ الإسلامي دراسة مستفيضة، وخروج منه بتلك القصص الفنانة الشاغلة بأحداثها العذبة ومن هذه السلسلة عذراء قريش وطه حسين حاول تحديد سيرة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحددها بقصة أسماها "على هامش السيرة" وهي تكاد تكون بسردها وحوارها وأسلوبها إبداعا في كتابة القصة التاريخية**»[1].

وفي الأخير نجد أن الجمال مصطلح قديم ويعتبر من القيم التي تناولها القرآن الكريم تناولا محكما، كما أن القصة هي تجسيد للواقع الإنساني بأسلوب أدبي مشوق، وهي فن أدبي عالمي قديم، تتجسد في أكثر من نوع، تهدف إلى تصوير الواقع ونقل التاريخ.

1- إيمان بقاعي: المتقن في تاريخ الأدب العربي، ص 558.

الفصل الأول:

جوانب القصة القرآنية

المبحث الأول: القصة القرآنية أغراضها وأنواعها

المطلب الأول: أنواع القصة القرآنية

لقد اختلف أهل العلم في تقسيمات القصص القرآني باعتبارات مختلفة فمنهم من قسمه باعتبار طول وقصر القصة، ومنهم من قسمه باعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرهم ومنهم من قسمه باعتبار طول وقصر القصص وموضوعه وأشخاصه وأحداثه.

الفرع الأول: أ/ باعتبار طول وقصر القصة

كان تقسيم القصص القرآني من هذا النوع عند الدكتورة مريم السباعي كالآتي:

«**أولا: القصة الطويلة المجزأة والموحدة، القصة المجزأة التي جاءت في عدة تكمل بعضها البعض كقصة نوح وهود وصالح عليهم السلام.**

ثانيا: القصة القصيرة: هي القصة المحتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة»[1].

ب/ الفرع الثاني: باعتبار شخصيات القصة

الرسل هم من بين الناس الذين اختارهم رب العالمين وعليه فحاجة الناس للمرسلين أشد من حاجتهم إلى الماء والهواء والغذاء، فهم سبب النجاة، فما من خير إلا ودعوا الناس إليه وما من شر إلا وحذروهم من مغبة الوقوع فيه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله، « **ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة**

1- مريم عبد القادر السباعي، القصة في القرآن الكريم، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، 1404هـ، ص 247.

الطبيب والخبيث على التفصيل، إلا من جهتهم ولا ينال الرضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا من هدايتهم وما جاؤوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وما بمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن والروح والعين إلى نورها إلى روحه إلى حياتها، فأي ضرورة حاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت، إذا فارق الماء ووضع في المقلاة فحال العبد عند مفارقة قلبه بما جاء الرسول كهذه الحال بل أعظم ولكن لا يحس بها إلا قلب حي وما الجرح بميت إيلام. وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم،فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته ونشأته ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[1].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث إلى كل أمة رسولا يصحح عقائده ويصوب مفاهيمهم، ويصلح قلوبهم ويسير بالحق نفوسهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]. وقال أيضا: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

1- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب وعبد القادر والأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط14، 1418هـ،1998م، ، ج01، ص 03.

2- سورة النحل، الآية 36.

3- سورة فاطر، الآية 24.

والأمم التي خلقها الله على هذه البسيطة لا تعلم كثرة وهذا يعني أن عدد الرسل والأنبياء بعدد هذه الأمم.

وقد اطلعنا الله تعالى على أسماء مجموعة من الرسل والأنبياء وقص علينا أخبارهم وسيرهم مع أقوامهم، وأخفى عنا أكثرهم فلا نعلم عنهم شيئا، وقال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[1].

وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾[2]. والرسل والأنبياء المذكورون في القرآن الكريم خمسة وعشرون ذكروا في مواضع متفرقة:

وردت أسماء ثمانية عشر رسولا ونبيا في موضع واحد من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلاًّ هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[3].

1- سورة النساء، الآية 164.

2- سورة غافر، الآية 78.

3- سورة الأنعام، الآيات 83-86.

فالأنبياء المذكورون في هذه الآية هم: (إبراهيم، إسحاق، يعقوب، نوح، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحي، عيسى، إلياس، إسماعيل، اليسع، يونس، لوط) وعددهم ثمانية عشرة، ووردت أسماء الباقين منهم في مواضع متفرقة وهم:

1- آدم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[1].

2- هود، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۝٥٠﴾[2].

3- صالح، قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۝٦١﴾[3].

4- شعيب، قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۝٨٤﴾[4].

5- إدريس، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾[5].

6- ذو الكفل، قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾[6].

7- محمد، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[7].

عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

وقد جمعت أسماء هؤلاء المصطفين الأخيار في بيتين من الشعر ليسهل استحضارهم وهذان البيتان هما:

1- سورة آل عمران، الآية 33.
2- سورة هود، الآية 50.
3- سورة هود، الآية 61.
4- سورة هود، الآية 84.
5- سورة مريم، الآية 56.
6- سورة الأنبياء، الآية 85.
7- سورة الفتح، الآية 29.

في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو

إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد خدموا[1].

وأبرز القصص قصص الأنبياء وأكثرها في القرآن لذلك اقترن هذا النوع بالدراسة.

الفرع الثالث: باعتبار طول وقصر القصص وموضوعه وأشخاصه وأحداثه

قسم الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي[*] القصص القرآني إلى قسمين كالآتي

أولا: باعتبار طول وتوسط وقصر القصة:

قال الخالدي: «قصص القرآن كثيرة ومنوعة، شملت مختلف سوره وآياته، فمنها القصيرة مثل قصة إلياس مع قومه في سورة الصافات، ومنها المتوسطة الطول مثل قصة سليمان مع النملة والهدهد وملكة سبأ، ومنها المطولة مثل قصة يوسف في موضع واحد وقصة موسى التي عرضت في كثير من سور القرآن الكريم»[2].

ثانيا: باعتبار موضوعه وأشخاصه

وأحداثه

لقد قسم الدكتور الخالدي هذا النوع إلى قسمين: قصص الأنبياء والمرسلين وقصص غير الأنبياء والمرسلين، كما قسم هذا الأخير إلى قسمين آخرين كالآتي:

- **قصص بني إسرائيل:** مثل قصة البقرة وأصحاب السبت وقسة طالوت.

1- محمد على الصابوني، النبوة والأنبياء، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، ط03، 1405هـ-1985م، ص 13.

*- عبد الفتاح الخالدي ولد سنة 1974، من شيوخه سيد سابق من مؤلفاته البيان في إعجاز القرآن، ينظر: الموقع الإلكتروني: صلاح بعد الفتاح الخالدي ttp://ar. Islamway.net/scholar/1404/

2- عبد الفتاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق، 1425هـ، 2007، ص 14.

ب- قصص السابقين من غير بني إسرائيل: مثل قصة أصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان[1].

المطلب الثاني: أغراض القصة القرآنية

إن الحديث عن فوائد وأغراض القصة القرآنية هو في الحقيقة حديث عن فوائد وأهداف القرآن الكريم ككل، بل إن غالب الأهداف التي جاء بها القرآن الكريم نجدها واضحة في القصة القرآنية فيما تناولته هذه القصص وما تضمنته هذه الأحداث من قضايا كلية أتى القرآن الكريم ليهدي إليها.

«والقصة القرآنية قصة هادفة، فهي ليست حلية للنص القرآني، أو ترفها فنيا أو تأريخيا لمجرد التأريخ أو سردا لمجرد التسلية والمتعة الفنية، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذ في المتلقي فإنها صدق إخيال فيه، وحق لا زيف فيه، وبما أن مصدر القصة القرآنية هو القرآن نفسه وهو الوحي الإلهي، فالأهداف المتوخاة منها هي الأهداف ذاتها المتوخاة من أشكال التعبير الأخرى في القرآن الكريم، غير أن للقصة تأثيرا نفسيا ووجدانيا ذا طابع خاص لما فيها من عرض أحداث تبث فيها الحياة، فتعرض أمام المتلقي كما لو كانت ماثلة أمامه وإن كانت لأقوام مضوا»[2].

ويقول سيد قطب رحمه الله: «القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي رسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة

1- عبد الفتاح الخالدي: مع قصص السابقين في القرآن، ص 14.

2- فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط01، 2000، ص 43-44.

التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها... إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات.

وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريق عرضها وإدارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية»[1].

يمكن إجمال أغراض القصة القرآنية فيما يلي:

أولا: إثبات الوحي والرسالة: محمد صلى الله عليهم وسلم، لم يكن كاتبا ولا قارئا، ولا عرف عنه يجلس إلى أخبار اليهود والنصارى، ثم جاءت هذه القصص في القرآن وبعضها بدقة وإسهاب كقصص إبراهيم ويوسف وموسى...الخ، فورودها في القرآن اتخذ دليلا على وحي يوحى، والقرآن ينص على هذا الغرض نصا في مقدمات القصص أو في ذيولها[2]. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝٣﴾[3].

ثانيا: المصدر الوحيد للدين هو الله تبارك وتعالى منذ الوجود «بيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة والله رب الجميع»[4].

ثالثا: العبرة والعظة: لا ينبغي أن ننسى في لحظة من اللحظات أن القرآن الكريم كتاب هداية ربانية، يرشد الخلق إلى خالقهم سبحانه تعالى، ولا شك أن للقصص القرآني دورا بارزا في موضوع الهداية، فعندما تقص علينا أخبار الرسالات السابقة والأمم الغابرة

1- سيد قطب: التصوير الفني، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 10، 1988، ص 143.

2- المرجع نفسه، ص 145.

3- سورة يوسف، الآية 03.

4- المرجع السابق، ص 146.

ويبين لنا مصير المؤمنين والكافرين، فهذا للاعتبار والاتعاظ، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

رابعا: ثبوت الدعوة المحمدية وصدق رسول الله الكريم «إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال»[2].

خامسا: رحمة الله بعباده واستجابتهم عند الدعاء «بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه كقصص سليمان وداوود وأيوب ومريم وزكرياء ويونس، فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى»[3].

سادسا: التحذير من تزيين إبليس لملذات الدنيا الفانية «تنبيه بني آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم عليه السلام، فإبراز هذه العداوة عن طريق القصص أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجس في النفس يدعو إلى الشر»[4].

يتضح مما سبق أن للقصص القرآني غايات وفوائد لها دور كبير في تحريك عواطف ومشاعر وانفعالات السامع الذي يسمعها، أو القارئ الذي يقرؤها، فيجعله أكثر ارتباطا وشوقا إلى مواصلة القصة ومتابعة أحداثها حتى النهاية.

1- سورة يوسف، الآية 111.

2- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 302.

3- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 154.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المطلب الثالث: عناصر القصة القرآنية

يقوم العمل القصصي في القرآن على عناصر رئيسية، لا غنى للنص القصصي عنها، بحيث تتأثر وتؤثر في السرد القصصي القرآني، لتحقيق أهدافه وغاياته السامية في التربية الإسلامية، ومن هذه العناصر نذكر:

1/ الحادثة:

وتسمى الحكاية وهي من أهم الخصائص التي تتميز بها القصة، فهي تمثل العمود الفقري للقصة، وهي بالتالي تجعل القارئ يتشوق إلى معرفة الأحداث، وإذا افتقدت القصة عنصر التشويق، أصبحت بلا روح، وتبعث الملل في النفس[1].

يعتبر الحدث من العناصر الرئيسية في القصة، فيختار القرآن الكريم من الحدث ما يخدم الفكرة الرئيسية، كما ويخلق الجو التربوي الملائم من رهبة أو رغبة مما يثير الانفعال، تاركا الأثر في النفس للتربية والتعلم، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ٤٣﴾[2].

وتتكون الحادثة من بداية ووسط ونهاية، فالبداية أو الموقف عند بعض النقاد ينشأ منها موقف معين، وتنمو لتبليغ الوسط، أو المرحل التالية، وتتجمع كلها لتنتهي إلى النقطة الفاصلة، وهو سبب وجود الحادثة في الأصل، ولذلك يسمي النقاد المرحلة الأخيرة وتمثل نهاية الحادثة لحظة التنوير[3].

1- سعيد عطية مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2006، ص 25.

2- سورة الكهف، الآية 43.

3- سعيد عطية مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، ص 25.

إذا كنا نرى القصة الفنية تتكون من مجموعة من الأحداث والوقائع يؤلف بينها الأديب القاص على نحو بعينه، فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك حين أورد كل قصة بطريقة منطقية معجزة تتدرج وتتسلسل إلى أن تنتهي إلى النتائج والأغراض المقصودة، والقصص القرآني لا يعرض من الأحداث إلا ما كان متصلا بالماضي وآثار السابقين لأن تتبع الأحداث الماضية وعرض أبناء الأولين هو الذي يحقق المقصود من هذه القصص.

2/ الشخصيات:

لقد اهتم السرد القصصي القرآني بالشخصية وصورها في أحسن صورة، حين سمع بتتبعها ورسم ملامحها بدقة: «فالشخصية في القصة القرآنية تعتبر رسما فنيا تنقل من خلاله أبعادها وحركاتها ونماذجها ذلك أن منطق القصة القرآنية يتناول الشخصية في موقف ما، وهذا الموقف يحدد تبعا لطريقة طرحه المسلك الذي تسلكه الشخصية، فالقصة القرآنية تضع أمامنا معالم الشخصية التي تتحرك أثناء القصة أو تتمحور حولها أحداث القصة وتشارك مع غيرها في بناء القصة فتحدد نوعية الشخصية من خلال العرض القصصي»[1].

ونجد رأي آخر يرى بأن: «الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة، ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه، إذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوي»[2].

إن الشخصية هي الفلك الذي يدور حوله الحدث، أو تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث، ونلاحظ في القصص القرآني المعجز المزج التام بين الشخصية والحدث، والمتأمل

1- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط01، 1974، ص 367.
2- سعيد عطية مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، ص 25.

لقصص الأنبياء في القرآن الكريم يجدهم يشتركون في الصفات والملامح، فهم جميعا بشر لا ملائكة، وعندهم من الغرائز البشرية ما عند البشر، غير أنهم كانوا الأنموذج للكمال البشري.

«إن القصة القرآنية كلها واقعية، والنص القرآني حين يغفل أسماء بعض الشخصيات وأعيان الذوات، فذلك ليصور نماذج البشر، وأنماط الطبائع، لذلك لم يعن القرآن الكريم برسم الخطوط الشكلية للشخصية، وإبراز ملامحها الخارجية، كما يفعل بعض المولعين بالقصص وإنما يكشف عن مزاج الشخصية»[1].

فالشخصية في القصص القرآني تأتي بارزة، ما عدا الأسماء فقد تذكر وقد لا تذكر، ومن الأسماء التي ذكرت في القصص القرآني إبراهيم وموسى وفرعون وغيرهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2].

نستنتج مما سبق أن المميزات التي اختصت بها بناء الشخصية في القصة القرآنية تظل متفردة في عمقها، رفيعة في قيمتها غريزة المنال في طلبها ومحاكاتها، سواء أوافقت مقاييس النقد الحديث في رواجها وكسادها أم خالفتها، لأن هذه المميزات بهذا البناء خالدة خلود كتاب الله عز وجل، ماضية في خلقه ما دمت السموات والأرض.

3/ المكان:

لقد حضر المكان بقوة في السرد القصصي القرآني، بوصفه مشكلا سرديا له ما له من الطاقة الإيحائية والتأثيرية التي تتصرف إلى تزكية المقاصد والغايات الكبرى، وتعزيز مواقف العبرة الدينية «فالمكان الذي تصوره القصة هو مكان قصصي قد يشابه

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج05، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط05، 1967، ص 2835.
2- سورة القصص، الآية 48.

غيره من الأمكنة التي نعرفها، ولكن له تفرده الخاص، وله واقعيته الخاصة، فمن المستحيل أن يكون مكانا واقعيا»[1].

ويتجسد المكان في القصة القرآنية على حالتين: «تتمثل إحداهما في إرفاق الوقائع والأحداث بذكر المكان، أما الحالة الثانية فتتمثل في الاستغناء عن ذكر المكان وإخلاء الأحداث منه، لأنه ليس ثمة ما يدعو إلى تحديده»[2].

«فقد يكون ما يحمله القصص من أفكار هامة ما يجعل معها التجريد لإلقاء درس في الكون الفسيح الرحب الذي هو جماع الأمكنة»[3].

فحالة ورود المكان في القصة القرآنية تخضع بالدرجة الأولى لمقررات الغرض الديني، فإذا تعلق هذا الغرض بمكان محددا استوجب حضور المكان والتصريح به، أما إذا كان الغرض الديني ساري المفعول وصالحا لكل زمان ومكان، فهنا لا يتقيد بمكان معين، وإنما يشمل الفضاء المطلق.

«فالمكان في القصة مكان مصاغ بمصطلح غير بصري... إنه مكان لا نستطيع أن نراه، وإن كان بإمكاننا تصوره، إنه مكان في زمن وهمي وهو الزمن القصصي... مكان مصاغ من ألفاظ لا من موجودات وصور»[4].

إن المكان في القصة القرآنية ذو ضرورة فنية في السرد مثله مثل الزمن، كلاهما يؤطر الحدث ويضبط معالمه ويضيء أبعاده، والمكان عالم مادي محسوس ثابت علق به ابن آدم منذ خلقه على وجه الأرض في الإطار الكوني الذي استقر في أحضانه ﴿وَلِلَّهِ

1- سعيد عطية مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآني، ص 23.
2- محمد طول: البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص 43.
3- المرجع نفسه، ص 62.
4- سعيد عطية مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، ص 23.

ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥ ﴾[1]. لذا الحبك المكاني في القصة القرآنية يخضع لمقررات الغرض الديني.

4/ الزمان:

«وجود الزمن عنصر أساسي في القصة، فبدون الزمن لا يمكن للقصة أن تستقيم وعلاقة القصة بالزمن علاقة مزدوجة، فالقصة تصاغ داخل الزمن، والزمن يصاغ في داخل القصة»[2].

لقد نظر الباحثون في زمن القصة القرآنية نظرة تاريخية وانحصر تفكيرهم في الزمن الطبيعي، لذا جاءت أفكارهم محصورة في هذه الزاوية فحسب إذ ذكر أغلبهم أن الزمن في القصة ليس موجودا مرتكزين في ذلك على أن أحداث القصص القرآني لم تكن مرتبة ترتيبا منطقيا كما أنها لم تذكر زمن وقوع الحدث، ولم ترد إشارة للزمن إلا في حدود الحاجة إليه: «فليست في القرآن قصة واحدة عني فيها بالزمان فضلا عن اختيار القرآن الكريم لعدد من الأحداث دون غيرها وعدم الاهتمام بترتيبها الزمني أو الطبيعي في إيرادها وتصويرها»[3].

«إن القصة القرآنية لا يغنيها من ذكر الزمان تحديد تاريخ الحادثة ولا مدتها إلا إذا كان لها أبعاد تعيينها لقيمة الحادثة نفسها أما الترتيب الزمني للأحداث وما يتبعه من مراعاة الترتيب في الذكر والوقائع التاريخية فإن القرآن الكريم لم يلتزمه»[4].

1- سورة البقرة، الآية 115.

2- المرجع السابق، ص 23.

3- محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط02، 1957، ص 51.

4- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص 97.

«كما أن انفلات أحداث القصة من الزمانية يجعلها خالية من الترابط الداخلي، ولكن القصة المحكمة السبك تمسك الخيوط الزمنية بكل أطرافها وهناك عدد من القصص يكون فيها الزمن هو المحرك للأحداث فكل موقف فيها ينبثق زمنيا من الموقف السابق»[1].

نستنتج مما سبق أن ترك التحديد الزمني للقرآن الكريم لا يعني أ، القصص القرآني لم يحفل بالزمن التاريخي أو الطبيعي، بل على العكس فالزمن يظهر من خلال السياق والبنى، لأن من أغراض القرآن الاهتمام بالحدث الذي يناسب الغاية الذي ذكر من أجلها.

5/ الحوار:

وهو أحد أهم عناصر القصة القرآنية، حيث يقدم الحجج والبراهين «يشكل الحوار في القصة القرآنية العمود الفقري، فهو العنصر البارز في أقاصيص القرآن الكريم، فالحوار من أقصر السبل للوصول إلى الغرض، ومعرفة الحقيقة، والدفاع عن الدعوة الإسلامية، وإبطال الشبهات، ودحض حجج المعارضين وهو السبيل الأمثل للاعتراف بالحق، والإقرار وبيان زيف وادعاءات المعاندين وهشاشة موقفهم وتسفيه أحلامهم»[2].

والحوار في القرآن الكريم قائم على المناقشة وإيراد الحجج والبراهين المنطقية، فبعد أن يتعرض القرآن أقوال المشركين، وأباطيلهم وما يدعون بأمانة يفند هذه الأقوال والأباطيل ويكشف ضحالة تفكيرهم، وبعدهم عن الحق وما يردؤون هذا أقوال هي أوهام وشبهات ورثوها عن وأجدادهم بعيدة عن الفطرة السليمة، يرفضها العقل والمنطق، فالحوار يشكل الأساس أو القاعدة التي بني عليه منهج القصص في القرآن الكريم ولا تكاد تخلوا قصة من القرآن الكريم من عنصر الحوار منه فهو منهج تربوي سليم سنه الله منذ خلق البشرية للوصول إلى الحقيقة، وقد نقلت لنا الآيات الكريمة نماذج من الحوار منها الحوار الرائع بين الله وملائكته حينما شاءت إرادته أن يجعل الإنسان في خليفة له في

1- سليمان الطراونة: دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، عمان، الأردن، 1992، ص 233.

2- سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 3716.

الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

وتمضي الآيات في بيان موقف الملائكة من خلافة آدم في الأرض فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2].

فالله تعالى أنبأ الملائكة بخلافة آدم في الأرض وأمرهم بالسجود له كان هذا التدبير الإلهي الظاهر في سياق الآية، هو ما اختص به آدم من علمه يختلف عن علمه الملائكة الذي يتصل بميزة الإنسان ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾، إضافة إلى ذلك أن الخلافة في الأرض اقتضاها ما يحتمل النوع الآدمي من أمانة إنسانية ومسؤولية عمله وكسبه وكيفية الابتلاء التي أعفي منها الملائكة بالتسخير المطلق[3].

وقد اصطفى الله الأنبياء والرسل من بين خلقه وألهمهم الحكمة البالغة والحجة الدامغة وفصل الخطاب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾

1- سورة البقرة، الآية 30.

2- سورة البقرة، الآيات 31-33.

3- عائشة بن الشاطيء، مقال في الإنسان، دراسة قرآنية دار المعارف، مصر، 1389هـ- 1949م، ص 40.

قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

لقد خاطب إبراهيم أباه بلهجة تسيل أدبا ورقة مبينا بالبرهان الفعلي بطلان عبادته للأصنام، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾[2].

والجدل مذموم في كل موضوع ذكر فيه إلا في ثلاثة مواضع وهي:

1- قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[3]. أي استخدام الجدل في الدعوة لإظهار الحق بالأدلة الواضحة.

2- قال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4].

3- قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴿١﴾ ﴾[5].

لذلك فإن الجدل العقلي الذي يأمر به الله لابد أن يرتبط بالحقائق ولا يمكن أن يحظى بها الفكر الذاتي بدون الاستعانة بالهدي الإلهي وإلا وقع في المشابهات (الإيمان بالله وبآياته البينات) وانزلق إلى هوة الضلالات[6].

1- سورة الأنبياء، الآية 51-56.
2- سورة مريم، الآية 1-42.
3- سورة العنكبوت، الآية 46.
4- سورة المجادلة، الآية 01.
5- حسن الشرقاوي: الجدل في القرآن والسنة النبوية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 08.
6- سورة البقرة، الآية 258.

ويتبين مما ذكرناه أن الجدل القرآني يعتمد على التأمل العقلي لكنه مرتبط بالإيمان بالله وبآياته البينات.

ومن الحوار الرائع الذي يظهر آية الله في خلقه حوار إبراهيم عليه السلام مع الملك ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴿٢٥٨﴾ ﴾، وهنا يظهر عجز الملك وضعفه وقلة حيلته، فلم يستطع لهذا السؤال جوابا، بل أذهلته المفاجأة، ولو نظرنا إلى الحوار في القصص بحسب ترتيب النزول لاحظنا غالبا بإشارات خاطفة خالية كما في سورة الفجر لقوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

ولقوله تعالى أيضا: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟

1- سورة الفجر، الآية 06-14.

يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾[1].

وذلك لأن الغرض هو إثارة الوجدان وإيقاظ الفكر، ثم تدرج نحو الطول والتفصيل بتدرج أسلوب الدعوة وتهيؤ النفوس للاطلاع والمعرفة واستعداد العقول للجدل، والخوض في القضايا الغيبية التي كانت محور هذا القصص وهي التوحيد والرسالة والبعث[2].

وحينما انتقلت الدعوة إلى مرحلة العلانية واجهت معارضة شديدة من المشركين من جهة وأصحاب الكتاب من جهة أخرى، وقد تصدى الرسول صلى الله عليه وسلم، لأعداء الدعوة وأصحاب الكتاب الذين شككوا بوحدانية الله وبرسالته بما من الله عليه من حكمة وأمده بالأدلة والبراهيم الساطعة لتوكيد وحدانية الله وصدق نبوته والقرآن الكريم من أوضع الوسائل على تعجيز المجادلين فقد تحداهم مجتمعين أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

وقد عرض علينا القرآن الكريم جانبا من مواقفهم من الدعوة النبوية مع ربطه بما كان عليه آباؤهم من مرافق الحجاج وتمرد بقصد تقرير توارث الجبلة الأخلاقية بين الآباء والأنباء المعاصرين وفيه حملات لاذعة، وتعريفات على تلك المواقف كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ

1- سورة الفرقان، الآية 35-40.

2- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية، تونس، 1987، ص 410.

3- سورة البقرة، الآية 23.

وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1]. لقد شغل اليهود في القرآن الكريم حيزا كبيرا منه المكي والمدني، حتى لقد ورد ذكرهم تصريحا وتلميحا ومقتضبا في نحو خمسين سورة من سوره البالغة مئة وأربع عشرة.

ولم يسلك الحوار مسلك التبسيط فحسب، بل رسم معالم الشخصيات الإنسانية بالتعبير عن خواطرهم النفسية وآرائهم ومواقفهم وما شجر بينهم من صراع على طريقة الحكاية عنهم، ونقل أقوالهم نقلا أمينا لا مبالغة فيها ولا افتعال، فصاغ معانيها على ما يقتضيه أسلوب إعجازه لا على الصيغة التي صدرت منها، ولو كان المنقول عنهم من العرب، حتى يكون الإعجاز البياني للأقوال المحكية إعجاز للقرآن لا لتلك الأقوال[2].

ويقول الحوار على إبراز عنصر واحد، وتسليط الضوء القوي عليه وإحلاله مكان الصدارة من القصة، أو الأقصوصة بحيث يطغى على ما عداه من عناصر أخرى، وقد تختفي أو تهمل عناصر القصة أو نجدها مجتمعة أو موزعة توزيعا فنيا كما هو الحال في قصة يوسف عليه السلام، ولكن ذلك لم يكن المثير الغالب[3].

لأن القرآن يجري في قصصه على أساس الأقصوصة لا القصة الطويلة ومن سمات القصص القرآني أن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط مكاني وترتيب زماني وعقيدة لا نجدها مجتمعة في القصة ولا موزعة توزيعا يجعل لكل منها دورا يختل بانعدامه توازن القصة لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه

1- سورة البقرة الآية 87-89.

2- ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984، ج01، ص 107.

3- محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن، ص 293.

أسلوب الغرض، وتتحكم في الترتيب وتسلط الضوء على العنصر المراد إبرازه فقد يكون القصد إلا نذار والترهيب مثلا فيبرز عنصر الأحداث[1].

كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾[2].

1- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص 93.

2- سورة الحاقة، الآية 4-8.

المبحث الثاني: جوانب تربوية في القصة القرآنية

المطلب الأول: الجوانب التربوية في القصة القرآنية

أ- **التربية بالقصص القرآني:** «للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي، ذلك أن القصة القرآنية تمتاز بميزات جعلت لها آثارا نفسية وتربوية بليغة، محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها والعبرة منها»[1].

إن للقصص القرآني وظيفة تربوية بليغة، لا يمكن أن يقوم مكانها أي آخر من الأداء اللغوي، وذلك لما له من ميزات نفسية يخاطب أعمال الفطرة، وتحرك الوجدان، وتهز الشعور «مما لاشك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر ولا تمل ولا تكل، ويرتاد والعقل عناصرها فيعني من حقولها الأزاهير والثمار»[2].

فالقرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي، تربية الروح، وتربية العقل، والجسم والقدوة والموعظة، والتربية بالموازنة بين السلبية والإيجابية...

«والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة، وإلى أمد قصير، ولقد كان الأسلوب القصصي أجدى نفعا وأكثر فائدة»[3].

1- إسلام محمود دربالة: القصص في القرآن الكريم، islamderbala@gotmail.com ص 07، 08.

2- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 305.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالقصة في القرآن الكريم تتميز عن غيرها بأنها منزهة عن أي نقص في شكلها ومضمونها، ومنزهة عن الخيالات والأوهام والأساطير والأباطيل، ومن هنا جاءت القصة في القرآن تحمل لواء الدعوة إلى الإسلام وتعرض مبادئه، وكانت أسلوبا من أساليب الدعوة إلى الله ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

«والمعهود حتى في حياة الطفولة أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يروى له، فيحاكيه ويقصه، هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم، لاسيما التهذيب الديني الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه» [2].

فالقصة تعزز من قدرة الطفل في التعبير عن النفس، فهو سيصبح أكثر قدرة على التعبير عن نفسه، كما أنها تكسبه مهارات ووعي، ويصبح الخيال خصب والعقل مستنير.

«وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي من سيرة النبيين، وأخبار الماضيين وسنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم، ولا نقول في ذلك إلا حقا وصدقا، ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم، وقد نجحت مجموعة القصص الديني للأستاذين "سيد قطب، والسحار" في تقديم زاد مفيد نافع لصغارنا

1- سورة يوسف، الآية 111.

2- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 305.

نجاحا معدوم النظير كما قدم "الجارم" القصص القرآني في أسلوب أدبي بليغ أعلى مستوى وأكثر تحليلا وعمقا، وحبذا لو نهج آخرون هذا المنهج التربوي السديد»[1].

لذا فالقصة أسلوب مهم جدا من أساليب التعلم التي استخدمها القرآن الكريم، كذلك وسيلة مهمة للمربين يمكن الاستفادة منها في شتى مجالات الحياة، فأسلوب القصص القرآني يجذب انتباه المتعلمين.

كما أن للقصة القرآنية آثار تربوية عظيمة قد لا تتحقق في غيرها من الأساليب التي جاءت بها التربية الإسلامية والدارس للقصص القرآنية يدرك الدور الفعال الذي وظفته القصة في نشر العقيدة وتثبيتها، وتحقيق أهداف التربية، ودعوة الإنسان إلى التعلم وطلب العلم «**وإذا روجعت قصص القرآن مراجعة دقيقة تبين للناظر في مضامينها أن عبرتها الأولى انتفع بها الهداة ودعاة الإصلاح، من تلك الدروس أن أصحاب السيادة في الأمة يكرهون التغيير ويتشبثون بالقديم، من تلك الدروس أن الجمود على التقاليد الموروثة هو أكبر آفات العقل البشري لأنه تعطل تفكيره، ومنها أن الإصلاح تضحية وعناء**»[2].

وقد أبرز القرآن الكريم أهمية القصص الإيجابية وتأثيرها النفسي والأخلاقي في التربية وتهذيب النفس في مواضع كثيرة منها قوله جل شأنه: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين**﴾[3]. والكثير من قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم لتربية النفوس دالة على اهتمام الإسلام بالقصة لما لها من تأثير على تلك النفوس.

1- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 305.

2- سعيد إسماعيل علي: القرآن الكريم رؤية تربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط01، 1421هـ-2000م، ص 321.

3- سورة يوسف، الآية 03.

1/ الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله:

إذا تأملنا قصص المرسلين التي وردت في القرآن الكريم، وما حدث لهم مع أممهم، نجد أنهم اتفقوا جميعا على دعوة واحدة، هي الدعوة إلى عبادة الله وحدة لا شريك له، واجتناب الشرك، وإن اختلفت شرائعهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[1].

فجميع الرسل كان أول وأهم ما دعوا إليه هو التوحيد، فنوح عليه السلام قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[2]. وكذلك هود عليه السلام قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[3]. وصالح عليه السلام قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[4]. وإبراهيم عليه السلام قال لقومه: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ٣﴾[5].

2- التواضع والتسامح: نجد في قصص القرآن الكريم نماذج حسنة من العمل بخلق التواضع من الأنبياء أو الصالحين من أتباع الأنبياء عليهم السلام، فيكون في ذلك دعوة للتأسي بهم في هذا الخلق الحميد، ففي قصة آدم نجد تواضعه في الاعتراف بالخطيئة، وظلم النفس بالأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها، وفي طلبه مغفرة الله تعالى ورحمته بعد ذلك، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ

1- سورة الأنبياء، الآية 25.
2- سورة الأعراف، الآية 59.
3- سورة الأعراف، الآية 65.
4- سورة الأعراف، الآية 73.
5- سورة نوح، الآية 03.

ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، كذلك صفة التسامح والعفر، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[3]، وقوله: ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾[4]. فنبي الله يوسف عفا عن إخوته، كذلك يعقوب عليه السلام صفح عن أولاده وسامحهم، وهذه صفة نبيلة للاقتداء بها.

3/ الصبر والشكر:

لقد صبر أولو العزم من الرسل على مشاق الدعوة إلى الله، فأبلوا بلاء حسنا، وكان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر، وبه يضرب المثل، قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [5]. كذلك من بين الصفات التي لازمت أنبياء الله صفة الشكر لله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾[6].

كما كان سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الشاكرين فكان يقوم الليل حتى تورمت قدماه من طول الصلاة والقيام، ولما سئل: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد

1- البقرة، الآية 37.
2- الأعراف، الآية 23.
3- يوسف، الآية 92.
4- سورة يوسف، الآية 98.
5- الأنبياء، الآية 83-84.
6- الأعراف، الآية 189.

غفر الله لك ما تقدم من الذنب وما تأخر، فيرد النبي الكريم قائلا: **أفلا أكون عبدا شكورا**، كذلك هناك مجموعة من المميزات التربوية للقصة القرآنية سنذكرها فيما يلي:

- الميزات التربوية للقصص القرآني:

تتميز القصة في القرآن الكريم من ناحية التربية فيما يلي:

«**1- تشد القصة القارئ، وتوقظ انتباهه دون توان أو تراخ:** فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعها حتى آخر كلمة فيها، ذلك أن القصة تبدأ غالبا وفي شكلها الأكمل بالتنويه بمطلب أو وعد أو إنذار بخطر، أو نحو ذلك مما يسمى عقدة القصة، وقد تتراكم قبل الوصول إلى حل هذه العقدة، مطالب أو مصاعب أخرى، تزيد القصة حبكا، كما تزيد القارئ أو السامع شوقا وانتباها، وتلهفا على الحل أو النتيجة»[1].

ذلك أن القصة القرآنية تأثر في المتلقي، وتجلب الانتباه وتثير المشاعر، فهي تطرح إشكالا مما تجعل الشخص شوقا لمعرفة النهاية والحل.

«**ب- تتعامل القصة القرآنية مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة:** متمثلة في أهم النماذج التي يريد القرآن إبرازها للكائن البشري، ويوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته، فيعرض للكائن صادقا يليق بالمقام ويحقق الهدف التربوي من عرضه»[2].

فنجد في القصص القرآني نماذج كثيرة منها نموذج الإنسان الذي يصبر على المصائب، ونموذج المرأة الطاهرة العفيفة، «فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية، ولا محلقة في جو ملائكي محض، لأنها إنما جاءت علاجا لواقع البشر، وعلاج الواقع البشري لا يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ على طبيعته، ثم بوصف الجانب

1- إسلام محمود دربالة: القصص في القرآن الكريم، ص 08.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثل الرسل والمؤمنين، والذي تؤول إليه القصة بعد الصبر والمكابدة والجهاد والمرابطة، أو الذي ينتهي عنده المطاف لعلاج ذلك الضعف والنقص، والتردي البشري في مهاوي الشرك أو حماة الرذيلة، علاجا ينهض بالهمم، ويدفع بالنفس للسمو، ما استطاعت إلى أعلى القمم، حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين الذين استسلموا إلى الضعف والنقص، ولم يستجيبوا لنداء ربهم فيزكوا أنفسهم»[1].

فالقصة القرآنية تتناول جوانب واقعية، وتبرز العناصر السلبية والإيجابية للواقع البشري، كذلك تتناول جانب الأنبياء والرسل، حيث تروي صبرهم وجهادهم في سبيل الدعوة ومحاربة الظلم والفساد، فسينتهي صبرهم بالانتصار والفوز على أعداء الله.

«3- تربي القصة القرآنية العواطف الربانية وذلك:

أ- عن طريق إثارة الانفاعلات: كالخوف والترقب، والرضا والارتياح والحب، وكالتقزز والكره، كل ذلك يثار في طيات القصة بما فيه من وصف رائع ووقائع مصطفاة، فقصة يوسف مثلا تربي الصبر والثقة بالله، والأمل في نصره، بعد إثارة انفعال الخوف على يوسف، ثم الارتياح إلى استسلامه منصب الوزارة».

ب- عن طريق توجيه جميع هذه الانفعالات: حتى تلتقي عند نتيجة واحدة هي النتيجة التي تنتهي إليها القصة، فتواجه مثلا حماسة قارئ القصة نحو يوسف وأبيه، حتى يلتقيا في شكر الله في آخر القصة، ويوجه بغض الشر الذي صدر عن إخوة يوسف حتى يعترفوا بخطئهم، ويستغفر لهم أبوهم في آخر القصة، وهكذا...

ج- عن طريق المشاركة الوجدانية: حيث يندمج القارئ مع جو القصة العاطفي حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها، ففي قصة يوسف يعتري القارئ خوف أو قلق عندما

1- إسلام محمود دربالة: القصص في القرآن الكريم، ص 09.

يراد قتل يوسف، وإلقاؤه في الجب، ثم تنسرح العواطف قليلا مع انفراج الكربة عنه، ثم يعود القارئ إلى الترقب عندما يدخل يوسف دار (العزيز) وهكذا يعيش القارئ مع يوسف في سجنه وهو يدعو إلى الله، حتى يفرح بإنقاذه ثم بتوليه وزارة مصر، وبنجاة أبيه من الحزن، وهو في كل ذلك رسول الله والداعية إلى دينه»[1].

فتتناول القصة القرآنية جانب الانفعال في النفس، ثم الشعور بالراحة والارتياح، كذلك جانب الحماسة، ومشاركة الشعور والإحساس مع شخصيات القصة.

«4- تمتاز القصة القرآنية بالإقناع الفكري بموضوع القصة:

أ- عن طريق الإيحاء والاستهواء والتقمص: فلولا صدق إيمان يوسف لما صبر في الجب على الوحشة، ولما ثبت في دار امرأة العزيز على محاربة الفاحشة والبعد عن الزلل، هذه المواقف الرائعة توحي للإنسان بأهمية مبادئ بطل القصة وصحتها، وتستهويه صفات هذا البطل وانتصاره بعد صبر ومصابرة طويلة، فيتقمص هذه الصفات حتى إنه يقلدها ولو لم يقصد إلى ذلك، وحتى إنه ليردد بعض هذه المواقف ويتصورها ويسترجعها من شدة تأثره بها.

ب- عن طريق التفكير والتأمل: فالقصص القرآني لا يخلو من محاورات فكرية ينتصر فيه الحق، ويصبح مرموقا محفوفا بالحوادث والنتائج التي تثبت صحته، وعظمته في النفس وأثره في المجتمع، وتأييد الله له، وقصة نوح كلها حوار بين الحق والباطل، وكذلك قصة شعيب وصالح وسائر الرسل: حوار منطقي مدعوم بالحجة والبرهان يتخلل القصة ثم تدور الدوائر على أهل الباطل، ويظهر الله الحق منتصرا في نتيجة القصة، أو يهلك الباطل وأهله، فيتظاهر الإقناع العقلي المنطقي والإثارة الوجدانية، والإيحاء وحب البطولة (الاستهواء) والدافع الفطري إلى حب القوة وتقليد الأقوياء، تتظاهر كل هذه العوامل وتتضافر، يؤيدها التكرار مرة بعد مرة، فما أكثر تكرار بعض قصص القرآن حتى تؤدي

1- إسلام محمود دربالة: القصص في القرآن الكريم، ص 09-10.

بمجموعتها إلى تربية التصور الرباني للحياة وللعقيدة واليوم الآخر وإلى معرفة كل جوانب الشريعة الإلهية معرفة إجمالية، وإلى تربية العواطف الربانية من حب في الله، وكراهية للكفر وحماسة لدين الله ولحماته، ولرسل الله، وولاء الله وانضواء تحت لوائه، وإلى السلوك المستقيم وفق شريعة الله، والتعامل حسب أوامره، وبهذا تحيط القصة القرآنية نفس الناشئ بالتربية الربانية من جميع جوانبها العقلية والوجدانية والسلوكية»[1].

المطلب الثاني: الخصائص العامة للقصة القرآنية

1/ التكرار: إن الله سبحانه وتعالى قد قص علينا في القرآن الكريم أخبار كثيرة للاعتبار بما جاء فيها، والاستفادة من القصص الواردة فيه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[2]. ومن أبلغ السمات الفنية البارزة في القصص القرآني التكرار، له حكم عديدة منها بيان بلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها، ومن أنواعه نذكر:

1- التكرار الهادف المعجز:

التكرار نوعان: صوري وحقيقي، فأما الأول فهو الواقع في القرآن الكريم، لأن ظاهره تكرار وحقيقته ليست تكرارا، وأما الثاني فيستحيل وقوعه في القرآن الكريم ونحن إذ ننفي عن القرآن الكريم أمرا ما فإننا ننفيه أولا لإيماننا المطلق بأنه كلام الله الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه»، وهذا ما يمليه علينا الإنصاف العلمي، لأن التكرار معناه ذكر الشيء مرة بعد مرة، وأكثر ما يتحقق في ذلك المفهوم أن يعاد ذكر الشيء بلفظه أو مرادفه من غير ذلك أن يكون هناك جديد في الإفادة وهذا المعنى لا يتحقق في

1- إسلام محمد دربالة: القصص في القرآن الكريم، ص 10، 11.

2- سورة يوسف، الآية 111.

القصص القرآني الكريم، بل لا يمكن أن يتحقق أو يكون، فإذا كررت القصة أو الآية أو الكلمة الواحدة، فإنما هو لفائدة اشتمل عليها كل موضع خلت منها المواضع الأخرى، ومن أمثلة ذلك: عصا موسى عليه السلام، ففي سورة طه وصفها الحق سبحانه بأنها حية تسعى قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]. وفي سورة الأعراف بأنها ثعبان مبين قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2]. وفي سورة النمل شبهها بالجان قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ ﴿١٠﴾ ﴾[3]، فهي حية باعتبار ضخامتها، وثعبان من حيث الخفة والنشاط وسرعة الحركة وهي كأنها جان لكونها مرعبة، ونفهم من هذا الترتيب أن أول اختبار لموسى مع العصا أنها ظهرت له في صورة كأنها "حية تسعى" فوقع في نفسه ما وقع من خوف ثم جاء الاختبار الثاني في سورة النمل وهي متأخرة نزولا عن سورة طه فيها تظهر العصا حية في ضخماتها وجانا في انطلاقها واقتضاها.

للتكرار في القرآن الكريم ككل وفي القصة القرآنية على الخصوص فوائد كثيرة نذكر منها:

1- إن عرض الواقعية الواحدة في أساليب كثيرة متنوعة وصور بيانية متلونة دون أن يختل شيء من نظم الكلام، ويضطرب معناه، أو تفكك روعته أو يضعف مستواه، مما يعجز عنه أبلغ الفصحاء وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن «إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا، من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة»[4].

1- سورة طه، الآية 30.

2- سورة الأعراف، الآية 107.

3- سورة النمل، الآية 10.

4- أبي بكر محمد البقلاني: إعجاز القرآن، عالم الكتب، ط01، 1408هـ، ص 62.

2-المعالجة الوجيهة للنفوس البشرية بترسيخ العقيدة والمفاهيم الصحيحة في أذهان المدعوين عن طريق التكرار في قالب القصص الواقعي الجذاب ولقد قرر علماء النفس الحديث أن الشيء يرسخ في ذهن المتعلم بتكراره مرارا مالا يرسخ بعرضه مرة واحدة أو مرتين لاسيما إن كان جديدا مثل عرض التوحيد الذي تنفر منه طبائع المشركين، والتحذير من رذائل الأخلاق الذي تشد عنه عادات الجاهليين.

3-إن القصة المكررة تكون متجهة إلى هدف غير الهدف الذي تتجه إليه القصة في مواضع أخرى، أو تتحدث من جهة غير الجهة التي تعرضت إليها في مواضع أخرى، وذلك نظرا لأن القرآن الكريم كتاب الهداية والعبرة وليس كتاب سرد تاريخ ولا متعة أدبية فارغة فتكون القصة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة متجهة نحو الغرض الذي سبقت من أجله.

هذه جملة من الأهداف العامة للتكرار القصصي وحسبك من هذا أن الإمام الزركشي[1].

2- الواقعية التاريخية:

ونعني بها أن كل ما في قصص القرآن الكريم من أخبار الأولين هي حقائق تاريخية صادقة لا يصادمها عقل، ولا يخالفها نقل، وسواء في تلك المصداقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات، كانفلاق البحر لموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾[2]. ومخاطبة الهدهد لسليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[3]. وكلام

1- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1408هـ، ج03، ص 25-28.

2- سورة الشعراء، الآية 63.

3- سورة النمل، الآية 23.

النملة مع سليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[1].

وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة ولا أي صور من صور الرمز والإشارة.

الشمولية المطلقة:

قصص القرآن الكريم شاملة من عدة جهات:

1- من حيث الزمن، فالقصة تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل قال تعالى ممتنا على نبية صلى الله عليه وسلم: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾[2].

وفي حاضر تنزل الوحي كان النبي صلى الله عليه وسلم في عهده تقع الواقعية فينزل القرآن بحكمها كما جرى في المرأة التي جادلت في زوجها، قال تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾[3].

وفي المستقبل كذلك يخبر القصص القرآني عن أمور غيبية ستقع فيها مستقبل من الأيام قال تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ

1- سورة النمل، الآية 18.

2- سورة هود، الآية 49.

3- سورة المجادلة، الآية 01.

سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾[1].

2- ومن حيث شمولية موضوعاتها، فكما أننا نجد القرآن شاملا لحياة المسلم ككل، فكذلك نجد في قصص القرآن الكريم شمولا لكل تلك الموضوعات من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وحكيمة، وغير ذلك بحيث يصور لنا القرآن الكريم بعض المواقف التي لا يحس بها إلا صاحبها، قال تعالى عن أم موسى وما وجدته حيث ألقت رضيعها في البحر وعلمت أن آل فرعون التقطوه وهو في بيت أن يذبح كل رضيع قال تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠ ﴾[2].

3- في تنوع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون ومن هنا كان القرآن مكيا ومدنيا ووضع المهتمون بعلوم القرآن بعض القواعد التي تميز المكي من المدني ومن هذه القواعد اختلاف الأسلوب في خطاب أهل مكة عنه في خطاب أهل المدينة فلا يشك من له أدنى تدبر بأن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ ﴾[3].

4- كونها هادفة:

أنزل الله سبحانه كتابه العزيز وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغه للناس وأرشدها إلى عبادة إلى تدبر القرآن بل إن الله سبحانه حصر غاية ترتيل كتاب الكريم في

1- سورة الروم، الآية 01-05.

2- سورة القصص، الآية 04.

3- سورة الجمعة، الآية 09.

أن يتدبر الناس معانيه قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[1].

فالغاية الأولى من قصص القرآن الكريم هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق، حتى يصلح الفرد والمجتمع، وليس الغاية قاصرة على إمتاع النفوس بسماع قصص مسلية أو بطولات خيالية وإظهار براعة أدبية مجردة عن هدف الإصلاح، كما هو الحال في عامة الفنن القصصي وليس الغاية أيضا سردا تاريخيا جافا كما هي مهمة المؤرخين، فالقرآن الكريم بكل ما فيه من قصص وغيرها هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾[2].

1- سورة ص، الآية 29.

2- سورة يوسف، الآية 111.

المبحث الثالث: الجوانب الإعجازية والفنية للقصة القرآنية

المطلب الأول: التصوير في القصص القرآني:

إن التصوير في القصص القرآني يفوق التعبير بالمعنى الذي تؤديه الدلالة الباطنة للفظ، فهو وسيلة التعبير عن أغلب المواضيع القرآنية، فيتحقق التأثير بطريقة فنية، ولعل أبرز القيم الفنية والجمالية التي تفرد بها القصص القرآني ظاهرة التصوير بالإيحاء والرسم بالكلمات وتفجير طاقات الألفاظ لرسم صور مبدعة ومشاهد شاخصة تبهر المتلقي.

التصوير في القصة القرآنية: ظاهرة التصوير في القصة القرآنية ظاهرة تجعل العمل القصصي أداة ف عالة في التأثير على المستمع أو القارئ، ويمكننا أن تقسم التصوير في القصة القرآنية إلى ثلاثة أنواع وهي:

1- تصوير المشاهد والمواقف: وهو أكثر أنواع التصوير شيوعا في القصص القرآني، وهو الغالب على أنواع التصوير، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي

مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

يمكننا أن نقسم الآيات السابقة إلى ثلاثة مشاهد:

المشهد الأول: يصور فيه سبحانه وتعالى بدء نزول العذاب بأن فار التنور، وقد اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يعني طلع الفجر، ونور الصبح، وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الأرض وأعلى مكان منها، وقال الحسن: أراد بالتنور الذي يخبر فيه، وكان تنورا من حجارة، وكان لآدم ثم انتقل إلى نوح فعلمت به امرأته فأخبرته، واختلفوا في موضعه فقال مجاهد كان في ناحية الكوفة»[2].

ويرى محمد الشعراوي أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ «أي غلي، واشتدت حرارته، وهذه إشارة وعلامة بين الله تعالى ونوح عليه السلام وحتى قبلها تفيد الغاية»[3].

ولكن الإمام محمدا أبا زهرة يذهب مذهبا عجيبا في قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، حيث يقول: «ثم ترى الإيذان بالابتعاد عن موطن الغرق، وقد فار التنور وإني قد أدرك من هذا أنها كانت تسير بالبخار، إذ فار التنور فتحركت بعد أن فار والله أعلم بمراده،

1- سورة هود، الآية 40-44.

2- ينظر: أبو إسحاق أحمد النيسابوري، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 48.

3- محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء والمرسلين، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 55-56.

وإن كان اللفظ دالا، بل هو مصور لتنورفار فرحك ببخاره ما حرك من آلات تسير السفينة»[1].

وفي هذا المقام نرى أن فوران التنور قد قصد به تفجر الأرض بالماء.

المشهد الثاني:

نرى صورة السفينة وهي تمخر عباب الماء، محاطة بعناية الله ورعايته وهو مشهد بموج بالحركة والتموج «**إذ نرى فيه الموج الذي شبهه الله بالجبال تهويلا لأمره وتعظيما لشأنه، وفي تلك الأثناء يلوح لنا ابن نوح وهو يغالب الأمواج ويصارعها وهو في معزل عن السفينة وأبيه، وتجري محاورة بين الأب وابنه في لحظات عصيبة يحاول الأب بدافع الشفقة والحنان الأبوي أن يبقي على ولده، وذلك بدعوته إلى الإيمان ونبذ الكفر**»[2]. ولكن دون جدوى، فالله قد ختم على قلبه بالكفر بعد أن حق عليه القول فيبادره بالإجابة بأنه سيأوي إلى جبل يعصمه من هذا الطوفان المهيب، فيرد عليه الأب بقوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، وبعد هذه المحاورة المقتضبة يحول الموج بعنفوانه بين الأب وابنه الذي كان قدره أن يموت غرقا «**لذا فقد تكافأ العجز في الطبيعة والإنسان، وهذا التكافؤ تأكيد وترسيخ للقدرة الإلهية والعظمة الربانية**»[3].

المشهد الثالث: ويتمثل في بداية الانفراج للأزمة بعد أن بلغت من التعقيد والتصاعد حدا جعل معه القصة تصل إلى ذروتها، إذ نرى في بداية هذا المشهد الأمر الإلهي والذي يقول للشيء كن فيكون، يصدر أمرا للأرض وللسماء في يسر وسلاسة يصل في ألفاظه حد الإعجاز، فالأمر الأول للأرض بلع المياه، ولا تخفى هنا دقة التصوير واختيار الألفاظ التي تقوم عليه «**فاختيار البلع دون غيره لأنه تتحقق به سرعة الجفاف بقوة تساوي قوة**

1- محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى للقرآن، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 194.

2- محمد أحمد المولى: قصص القرآن، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط02، 1993، ص 24.

3- محمد قطب: القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط01، 1996، ص38.

الانحباس، وكذا الحال مع اقلعي، فهو أمر دل على سرعة انقشاع السحب دفعة واحدة ومن ثم توقف المطر»[1].

نلاحظ من هذه الآية حسن النظم وبلاغة الوصف واشتمال المعاني فيها، ولعلنا نرى من تشابك المشاهد الثلاثة، بشكل يبرز الصورة الكلية لتلك الأحداث المهيبة العظيمة، ما يكون صورة أمام المتلقي فيرسمها بالألفاظ التي عبرت بإتقان تام عن المقصود.

2- تصوير الانفعالات والعواطف:

ويكمن هذا التصوير في تجلي هذه الصورة وتلك العواطف من خلال سلوك الشخصية ومواقفها من الأشياء وفي كيفية مواجهتها للأحداث بشكل يكشف لنا موقف الشخصية وتصرفها عما يدور بداخلها من مشاعر وانفعالات، ومثال ذلك من قصة موسى حال أمه بعدما ألقته في اليم، وما جاء في شأنها، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ

1- محمد الطبري: قصص الأنبياء، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط01، 1989، ص 92.

﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

هذه وقفة مع أم موسى وقد ألقت فلذة كبدها في اليم، وهي باكية حزينة على مصير ولدها الحبيب، فقد اجتمع خوفان في قلبها، خوف من مصيره المحتوم إما بالموت غرقا، أو بالقتل الذي توعد به فرعون كل صبي يولد لبني إسرائيل.

«هنا عواطف مختلفة مرت بها الأم وهي مزيج من الخوف والقلق والاضطراب من جهة، ثم الشعور بالاطمئنان المبشر بالراحة والطمأنينة فالوليد الملقى سيعود إليها، وسيحظى بالرسالة، وهذا ما يزرع بذور الأمل في قلب الأم ويخفف من قلقها وخوفها»[2].

«فالتعبير بـــ (إذا) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ **يدل على تحقق خوفها، وفي الخطاب لطف ومؤانسة لأم موسى، لذا فقد عبر بالإلقاء دون غيره لأن الإلقاء دون القذف في الشدة والقوة»**[3].

ومن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾، تضمنت أمرا إلاهيا بأنها إذا خافت عليه لابد أن تلقيه في اليم، وهكذا عكس الطبيعة البشرية، لأن سبب الإلقاء خفي لا يعلمه إلا الله، والظاهر للجميع من الإلقاء في اليم هو نهاية محققة، ولكنها في الواقع رعاية إلهية تحيط بالوليد.

1- سورة القصص الآية 7-13.

2- محمد قطب: القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن، ص 45.

3- حسن عباس: قصص القرآن الكريم، صدق حدث وسمو هدف وإرهاف حس وتهذيب نفس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط01، 2000، ص 487.

وقد عبر القرآن بقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وفيه يقول الزمخشري: «فارغا صفرا من العقل، والمعنى أنها حين سمعت وقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش، ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه»[1].

نلاحظ من خلال هذا التعبير (فَٰرِغًا) بعدا للمعنى ووصفا لحال أم موسى فقد أصبح فؤادها فارغا، وفي ذلك تصوير وتجسيم لعاطفة الأمومة لديها، فحبها لوليدها هو كل شيء يشغل فؤادها، وعندما فقدته أصبح فؤادها فارغا من كل عاطفة، وما ذلك إلا تصوير لشدة تعلقها به وقوة عاطفة الحب من الأم لوليدها، فهو أمر معنوي، ولكن التعبير القرآني صوره وشبهه بشيء تقع عليه الحاسة، وهو الوعاء الذي يملأ ويفرغ.

3- التصوير بالإيقاع والجرس (الإيحاء الصوتي):

يشترك الصوت في الدلالة على المعنى، وقد شغلت هذه القضية الباحثين في اللغات الإنسانية وفي مختلف الثقافات منذ القدم إلى يومنا هذا، ولعلنا نجد أن التصوير يسهم من خلال البنية الإيقاعية الكلمة وما تحمله من تناوب بين حروفها، ومدى انسجام إيقاعها في رسم المشهد المصور في القصة القرآنية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا

1- أبو القاسم الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط03، 2009، ص 167.

مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

لقد بين السيوطي رحمه الله أسباب نزول هاتين الآيتين فقال: «**أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال هذا حين أمروا بغزو تبوك بعد الفتح وحنين، أمرهم بالنفير في الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج**»[2].

لاحظ التشديد في حرف الثاء في كلمة **اثاقلتم** يدل على مدى تمسك المسلمين بالأرض، وعدم الاستجابة منهم لطلب الجهاد، وهكذا نرى بأن إيقاع اللفظ كان غاية في الدقة والتصوير، ونقل صورة صادقة دقيقة تسهم في تصوير حال المسلمين المخاطبين، فهذه الكلمة مثلة بالإيحاء والجرس الصوتي.

نستنتج في الأخير بأن التصوير في القصص القرآني وسيلة لمخاطبة حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، كما أن التصوير الفني هو أحد وجوه الإعجاز البياني في إطار الأسلوب القرآني البديع.

المطلب الثاني: التنويع في الاستعمال

أ/ تنوع فن الإخراج: يقسم سيد قطب طرق الابتداء في عرض القصة إلى أربعة أقسام:

«**1**- مرة يذكر ملخصا للقصة يسبقها، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، وذلك كطريقة قصة "أهل الكهف" فهي تبدأ هكذا: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن

1- سورة التوبة، الآيتين 38-39.

2- جلال الدين السيوطي: لباب النفول في أسباب النزول، دار العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1969، ص 296-297.

لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾ ﴾[1]. ذلك ملخص للقصة، ثم تتبعه تفصيلات تشاورهم قبل دخولهم الكهف وحالتهم بعد دخوله، ونومهم ويقظتهم، وإرسالهم واحدا منهم ليشتري لهم طعاما، وكشفه في المدينة وعودته، وموتهم، وبناء المعبد عليهم، واختلاف القوم في أمرهم.... الخ فكأن هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة للتفصيلات».

2- ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، وذلك كقصة موسى في سورة القصص وهي تبدأ هكذا: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[2].

ثم يمضي في تفصيلات قصة موسى: مولده ونشأته ورضاعه وكبره وقتله المصري وخروجه... كما فصلنا من قبل فكأن هذه المقدمة التي تكشف الغاية من القصة كانت تمهيدا مشوقا لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها هذه الغاية المرسومة المعلومة.

1- سورة الكهف، الآيات 8-12.

2- سورة القصص، الآية 2-6.

وقريبا من هذا النحو قصة يوسف، فهي تبدأ بالرؤيا يقصها يوسف على أبيه فينبئه أبوه بأن سيكون له شأن عظيم، هكذا: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾[1].

ثم تشير القصة بعد ذلك، وكأنما هي تأويل للرؤيا، ولما توقعه يعقوب من ورائها، حتى إذا تحققت أنهى القصة ولم يسر فيها كما سارت التوراة بعد هذا الختام الفني الدقيق.

3- ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يغني، وسنعرضها بالتفصيل في مناسبة آتية، وكذلك قصة سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس وسنعرضها أيضا.

4- ومرة يحيل القصة تمثيلية، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطالها، وذلك كالمشهد الذي عرضناه في قصة إبراهيم وإسماعيل في فصل التصوير: ﴿وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ هذه

1- سورة يوسف، الآيات 3-6.

إشارة البدء، أما ما يلي ذلك فمتروك لإبراهيم وإسماعيل ﴿ربنا تقبل منا أنت السميع العليم...﴾ إلى نهاية المشهد الطويل ولهذا نظائره في كثير من قصص القرآن»[1].

ب/ تنوع طريقة المفاجأة: يقسمها سيد قطب إلى أربعة أقسام:

«1- فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة، حتى يكشف لهم معا في آن واحد، مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف فهي تجري هكذا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن

1- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص ص 181-183.

تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٧٨﴾ ﴾[1].

فإلى هنا نحن أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سرا وموقفنا منعا كموقف بطلها موسى بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة ولا ينبئها القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا، وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الكونية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة، فعدم ذكر اسمه يتفق مع هذه الشخصية المعنوية التي يمثلها وإن القوى المجهولة لتتحكم في القصة منذ نشأتها، فها هو إذا موسى يريد أن يلقي هذا الرجل الموعود فيمضي في طريقه، ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة، وكأنما نسيه ليعودا فيجد هذا الرجل هناك، وكان لقاؤه يفوتهما لو سارا في وجهتهما، ولو لم تردهما الأقدار إلى الصخرة كرة أخرى... كان الجو غامض مجهول، وكذلك اسم الرجل الغامض مجهول، ثم يأخذ السر في التجلي، فيعلمه النظارة حين يعلمه موسى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ

1- سورة الكهف، الآيات 60-78.

أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾»[1].

وفي دهشة السر المكشوف يختفي الرجل كما بدا، لقد يخطر للأذهان الدهشة بعد أن تصحو أن تسأل: من هذا؟ ولكنها لن تتلقى جوابا، لقد مضى في المجهول، كما خرج من المجهول، فالقصة تمثل الحكمة الكبرى، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدرا ثم تبقى مجهولة أبدا.

2- ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في حماية، وهؤلاء يتصرفون وهم جالسون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية، ليشترك النظارة فيها، منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين.

3- ومرة يكشف بعض السر للنظارة، وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على النظارة وعن البطل في موضع آخر في القصة الواحدة، مثال ذلك قصة عرش بلقيس.

4- ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل النظارة في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته، وذلك كمفاجآت قصة مريم، حيث تتخذ من دون أهلها حجابا، فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل»[2].

1- سورة الكهف، الآيات 79-82.

2- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 186-187.

ج/ الفجوات بين المشهد والمشهد:

«تلك الفجوات بين المشهد والمشهد، التي يتركها تقسيم المشاهد و"قص" المناظر، مما يؤدي في المسرح الحديث إنزال الستار، وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة، يملؤها الخيال ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق، وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب، ويمكن أن تلحظ فيما عرضناه من القصص قبلا»[1].

المطلب الثالث: التكرار في القصص القرآني

إن المتأمل لآيات القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر كثير من الأنبياء في أكثر من سورة، وأكثر من موضع مثل قصة موسى عليه السلام، فقد ذكرت في كثير من السور، كما نجد أنه قد تكرر آيات بعينها لغايات معينة، أو تكرار كلمة في الآية.

والحق أن تكرار القصص القرآني ليس تكرارا للقصة بآياتها وعباراتها، وإنما هو ذكر جانب أو أكثر من القصة في موضع لمناسبة، وذكر جانب آخر وأكثر في غيره لمناسبة أخرى.

«فتكرار القصة في القرآن الكريم وثيق الصلة بمنهجه القصصي، إذ هو يخدم غرضين في آن واحد، غرضا فنيا يتمثل في تجدد أسلوبها إيرادا وتصويرا، والتفنن في عرضها إيجازا وإطنابا والتنوع في آدائها لفظا ومعنى، وغرضا نفسيا بما له من تأثير في النفوس،

1- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 188.

لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس»[1].

والتكرار في القصص القرآني ظاهرة واضحة ملفتة للنظر وداعية لكثير من التساؤلات والبحث «فقد وجد أصحاب الأهواء ومرضى القلوب من الملحدين وأعداء الإسلام مدخلا ملتويا يدخلون منه على الطعن في القرآن والنيل من بلاغته وإعجازه ويتكئون على ذلك بحجج وأدلة باطلة وهي أن التكرار في القرآن قد أدخل الاضطراب على أسلوبه وجعله ثقيلا على اللسان والسمع، يبعث على الملل والسآمة، وهم بذلك يخلصون إلى نتيجة وهي أن أسلوب القرآن ليس على المستوى البلاغي الرفيع الذي يجعل القرآن معجزا وأنه من السماء»[2].

فهم قد رأوا أن التكرار عجز بياني وقصور فني، بل ادعى بعضهم أنها هلوسة أو مرض نفسي.

«إن التكرار في قصص القرآن لم يكن لمجرد التكرار، بل هو تجديد للمعاني وليس ترديدا، والفرق بين التجديد ومجرد الترديد أن الترديد يكون تكرارا لا غاية لها أو يكون لمجرد التوكيد، أما التجديد في تكرار اللفظ فإنه يكون لغاية بعده لا تتم إلا به»[3].

يقول السيوطي في الإتقان: «والتكرير أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة ومن فوائده التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر، وقد نبه سبحانه وتعالى على السبب

1- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص 115.

2- ينظر: عبد الكريم الخطيب: الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1974، ص 394، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط02، 1975، ص 230.

3- محمد أبو زهوة: المعجزة الكبرى، ص 194.

الذي لأجله كرر الأقاصيص من الإنذار في القرآن بقوله: ﴿**وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا**﴾»[1].

وقد لفتت ظاهرة التكرار في قصص القرآن الكريم أنظار العلماء إليها، وحركت عقولهم، وقدحت زناد فكرهم للكشف عن أسرارها ودواعيها.

فهذا أبو بكر الباقلاني يذهب في كتابه "إعجاز القرآن" على أن من صور الإعجاز أن يعاد الموضوع الواحد مكررا بأساليب مختلفة في الطول والقصر والإجمال والتفصيل مع المحافظة على جوهره، مع قوة الأسلوب والبيان، وذلك ليس من الأمور السهلة، يقول الباقلاني: «إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحد... من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة»[2]، ثم يقول: «وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ونبهوا –أي العرب– بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكررا»[3].

وقد كشف الإمام الزركشي في كتابه "**البرهان في علوم القرآن**" عن سر هذا التكرار في قصص القرآن، وبين أن القصة إذا كررت فإنما تكرر لفائدة خلفت عنه في الموضع الآخر وذكر كذلك الأمور التي لأجلها تكررت القصة في القرآن الكريم»[4].

ويشير المرحوم محمد صادق الرافعي على بعض هذه الأسرار حيث يقول عن التكرار: «وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد

1– جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجتمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ج01، ص 62.

2– الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط01، 1971، ص

3– المصدر نفسه، ص 73.

4– الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 37.

وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالمنعم واقتضاء شكره إلى ما يكون هذا الباب»[1].

وعلى هذا يمكن أن نفهم سر تكرار القصص القرآني وفوائده وذلك فيما يلي:

- التحدي والإعجاز وذلك بالتصرف في البلاغة على أعلى مرتبة، لأن طل قصة كررت حصل في ألفاظها زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، وإجمال وبيان، في مواضع مختلفة وأتت بأسلوب غير أسلوب الآخرين.

«ولو سلك القرآن الكريم طريقا واحدا في إيراد القصص لقال الكفار نحن نقدر على غير هذا النوع، فقطع الله عليهم كل سبيل للاعتراض وذكر في القرآن أنواعا مختلفة وترك لهم حرية اختيار ما يشاؤون منها، لكنهم عجزوا فدل عجزهم على صدق القرآن وأنه وحي منزل من الله»[2].

«جذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليب القصة الواحدة»[3]، وبذلك تظهر خاصية للقرآن الكريم لم تكن في غيره من الكلام، وهي أنه بتكرار المعنى الواحد منه بأساليب مختلفة، لا يزداد عند السامع إلا قبولا ولا يعتري قائله ملل ولا سآمة بخلاف غيره إذا كرر مهما تنوعت أساليب سئمته الأسماع وملته الأفواه.

وهذا من إعجاز القرآن الكريم وتأثيره في النفس الإنسانية، وذلك أن النفوس تميل إلى التنوع في الأساليب من تقديم وتأخير وزيادة ونقصان، وتتعدد بذلك الصور التي تستلذها النفس ويميل إليها القلب، فلا يحدث الملل من أسلوب واحد، وفي هذا التنويع تجديد للكلام ونظريته.

1- محمد صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة البنيوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط03، 1973، ص255.

2- عبد الباسط بلبول: قصص القرآن، نشر مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة، ط01، (د.س)، ص 324.

3- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، ص 125.

– «تمكين العظة والعبرة، وإيقاظ الهمم، إذ بالتكرار ينتبه غير المنتبه ويزداد إدراكا وتعمقا من أدرك»[1]. وذلك لأن بعض القلوب لا تنتبه إلا إذا كرر عليها الخبر أكثر من مرة، والعقول والضمائر تتفاوت من سرعة التنبيه والاستفادة «فإن الله تبارك وتعالى يكرر القصة حتى يستفيد في المرة الثانية والثالثة من لم يمكنه الاستفادة في المرة الأولى، وفي ذلك تعميق للعظة والعبرة»[2].

– كذلك فإن تكرار القصة تسلية للنبي وتثبيت لقلبه، وقلوب أصحابه رضوان الله عليهم، وذلك ليرى الرسول والمؤمنون ما لاقى الأنبياء وأتباعهم من أذى أقوامهم، وثباتهم على الحق ومصابرتهم ومجاهدتهم في سبيل الله حتى كانت العاقبة لهم والدائرة على أعدائهم فيصبروا على أذى المشركين كما صبر غيرهم من الرسل.

فتكرار القصة في عدة سور بأساليب مختلفة إنما يهدف إلى تمكين هذه السنن في النفس وتثبيتها في القلب حتى تقوى داعية الإصلاح عند المصلح، فلا يجد اليأس سبيلا إليه: «وقد كان من تربية الله لنبيه أن قص عليه من سير الأنبياء ما يسليه، لأن نفوس المفسدين في كل زمان متقاربة ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة، قال تعالى: ﴿**ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك**﴾»[3].

– شدة عناية الحق تبارك وتعالى بشأن القصة أو الجانب المكرر إما لدلالتها على التوحيد كقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعاداته للأصنام وأهلها، وإما لدلالتها على نصر الله تعالى لأنبيائه على أعدائه كقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وإما لغير ذلك كما يعلم من تتبع قصص القرآن.

1– المرجع نفسه، ص 297.

2– التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص 328.

3– المرجع السابق، ص 130.

- إن القصة قد تطول وهي ذات جوانب كثيرة، فالله سبحانه وتعالى يذكر جانبا منها في موضع يناسبه، ويذكر جانبا آخر أو جوانب أخرى في موضع آخر يناسبه لتتم الصورة الكلية للقصة ويتبين معالم الهدف المقصود منها[1].
- ومن مقاصد تكرار القصة في القرآن كذلك ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرت عليه سنن الله بعقاب المكذبين لرسله، ولا أدل على صدق السنن الإلهية من حدوثها مرارا وفي ظروف مماثلة وأزمان متباعدة»[2].
- ومن أسرار تكرار القصة في القرآن الكريم كذلك ضمن مجموعة من القصص بيان وحدة الأديان في اصل العقيدة ووحدة الدعوة إليها من الرسل وتشابه أقوامهم في موقفهم منها، قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إليه إلا أنا فاعبدون**﴾، ويقتضي تقرير هذه الحقيقة أن تعرض طائفة من قصص الأنبياء متتابعة تروي كل ذلك.
- تأكيد الجانب الغيبي وتثبيته في القلوب بحيث يصبر جزء من حياة السامع أو القارئ، فالحديث عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تجده من خلال القرآن جميعا، ونادرا أن تجد قصة من قصص القرآن خالية من ذكر جوانب من هذه الأمور الخمسة»[3].

1- عبد الباسط بلبول: قصص القرآن، ص 334.

2- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص 131.

3- المرجع السابق، ص 235.

من خلال ما سبق نجد أن القصة القرآنية تشتمل على مظاهر فنية، ولكنها ليست تلك المظاهر الفنية التي وجدت في القصة الحديثة، فكل الأحداث والشخصيات التي جاءت في القصة القرآنية إنما هي بناء حق، لا زيادة فيه، كذلك تتعدد أنواع القصة القرآنية، ولها عدة أغراض أهمها إثبات الوحي والرسالة، كذلك بيان أن الله ينصر أنبياءه ويهلك المكذبين، ثم نلمس الجوانب التربوية في القصة القرآنية، حيث تمد الفرد والجماعة بالقيم الإسلامية، وتربي الإنسان على الثقة المطلقة بالله تعالى والرضى بالقضاء والقدر، ثم نعرض أهم الخصائص العامة التي يتميز بها القصص القرآني، وفي الأخير لمحة عن أهم الجوانب الإعجازية والفنية التي يمكن دراستها في قصص القرآن، واستخراج الجمالية الفنية التي تميز القصة القرآنية عن غيرها من الأنواع الأدبية.

الفصل الثاني:

الجماليات الفنية في قصة

نوح عليه السلام

المبحث الأول: لمحة عن قصة نوح عليه السلام

المطلب الأول: التعرف على قصة نوح عليه السلام

تمهيد

لقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصصا كثيرة، لنأخذ منها الدروس والعبر، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[1]. ومنها قصص بعض الأنبياء من بينهم قصة نوح عليه السلام، فقد ذكر الله أطرافا من قصته في سور عديدة، مع مراعاة التسلسل في قصته، وذلك تبعا للسور المذكورة فيها هذه الآيات، ولو قمنا بجمع هذه الآيات لتكونت لنا وحدة موضوعية عن قصته من بدايتها حتى لنهايتها.

وقصة سيدنا نوح عليه السلام لها أهمية كبيرة جدا، ففي وقته ظهر الكفر بين بني آدم، فأرسله الله لتصحيح اعتقادهم ومعالجة أخطائهم، كما تزخر بكثير من الجوانب الفنية التي سنسلط الضوء عليها لاحقا.

1- إرسال نوح إلى قومه: «اختار الله تعالى نوحا من بين أولئك القوم لينذرهم عذاب الله، إذ تمادوا في غيهم وضلالهم، فعتوا عن أمر ربهم واجتمع ملأ قومه وكبراؤهم وأهل الثراء منهم على تكذيبه واحتقاره هو ومن اتبعه واستبعدوا أن يكون واحد منهم، لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء، يأتي لهدايتهم دون أن يكون ملكا أو يمتاز عليهم بفضل من الغنى والثروة، وأنفوا أن يكونوا مثل الذين اتبعوا نوحا من الضعفاء، وزعموا أنهم إنما اتبعوه من غير روية ولا أحكام رأى، وطلبوا إليه أن يطرد الذين آمنوا به تقززا من أن يجتمعوا معهم في دين، فأبى عليهم خوفا من الله تعالى وبين لهم أنه إذا ردهم لا يجد ناصرا يدفع عنه عقاب الله تعالى، وبين لهم أنه إنما جاءهم بالهداية، ولم يكن رجل مال قد مكنه الله

1- سورة يوسف، الآية 111.

من خزائنه واطلعه على غيبه، فهو حفى بعلم الغيب، ولم يدع أنه ملك وإنما هو بشر اختاره الله تعالى لدعوتهم وتبليغهم أمر الله تعالى وأن أتباعه من المؤمنين الذين تزدريهم أعينهم ويدعون أنهم لا يمكن أن يدركوا خيرا أو يحصلوا على سعادة»[1].

لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى من بني آدم رسلا وأنبياء، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾[2]. وقد أرسل نوحا إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾[3]. وكان قوم نوح يعبدون الأصنام فطغوا وتمردوا واستكبروا: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾[4]. فرفضوا أن يكون المبعوث إليهم ليس ملكا وليست له مكانة مرموقة، كما حاولوا طرد أتباع النبي الكريم، قال: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا

1- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط03، (د.س)، ص 32.

2- سورة آل عمران، الآية 33.

3- سورة الأعراف، الآية 59.

4- سورة نوح، الآية 23.

تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

2- اجتهاد نوح في دعوته:

«يبذل نوح منتهى وسعه واجتهد بغاية إمكانه أن يتبعه قومه في الإيمان بالله تعالى وأن يفعلوا عن عبادة تلك، وطال الزمن وهو يغاديهم بالنصح ويرواحهم بالعظة سرا وعلانية وهم لا يزدادون إلا أعراضا ونأيا عن طريقته مع بيان المسرات المترتبة على الإيمان والنعم التي تنتظرهم في عاجل حياتهم من إرسال المطر لسقياهم وسقيا أرضهم ووفرة الأموال وكثرة الذرية، ويضرب لهم الأمثال ويوجه نظرهم إلى صنع الله تعالى بخلقهم أطوارا مختلفة وعنايته بهم في أدوار حياتهم الجنينية وحياتهم في الدنيا وخلقه السموات والأرض وأن من بدأهم قادر على إعادتهم ذلك أن من خلق لهم الأرض ومتعهم بما خلق فيها قادر على إعادتهم ومجازاتهم، وكانوا يتبرمون به وينالونه بالأذى، فعصموه واتبعوا بعض كبرائهم الذين لا يزيدونهم إلا خسارا ومكروا فيما بينهم مكرا عظيما إلى أن نفدت حيلته ويئس من صلاحهم، وبيتوا فيما بينهم ألا يذروا عبادة: ود، وسواع، ويغوث ويعوف ونسر، وقالوا في تبرم وأنفة: إنك قد أكثرت الجدل، وإنا لن نترك ما نحن عليه، فأتنا بالعذاب الذي تخوفنا نزوله بنا، فرد عليهم بأن أمر عذابهم بيد الله الذي أرسله لا بيده»[2].

لقد دعا نوح ولبث فيهم ألف سنة، إلا خمسين عاما يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ

1- سورة هود، الآيات 27-30.

2- عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 33.

أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[1]. ولكن قوم نوح لم يستجيبوا له ولم ينتفعوا بنصحه بل أنكر أشرافهم نبوته واتهموه بالكذب وقالوا إن أتباعه ضعفاء، لكنه استمر في دعوة قومه وتلطف بهم ودعاهم في كل مناسبة ليلا ونهارا، سرا وجهارا فما آمن معه إلا قليل، أما الأكثرون فقد كذبوه وسخروا منه واتهموه بالجنون، وحالوا بينه وبين تبليغ رسالة ربه وهددوه بالرجم إن لم ينته، لكنه لم يبال بتهديدهم، فواصل دعوته لهم حتى إذا ضاق ذرعا باستكبارهم، واستهزائهم، لجأ إلى ربع بهذه الشكوى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾[2].

3- يأس نوح من هداية قومه:

«ولما بلغ نوح درجة اليأس من إيمان قومه بعد خمسين وتسعمائة سنة، على نصه القرآن، أقامها فيهم يدعوهم ولا يألوهم نصحا كان ما قصه الله بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٣٦ ﴾ سورة

1- سورة العنكبوت، الآية 14.

2- سورة نوح، الآية 5-12.

هود، وتوجه إلى ربه بالدعاء عليهم فقال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ (سورة نوح الآية 27)» [1].

لما يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه، وهددوه بالقتل وآذوه ومن آمن معه فما كان منه إلا أن دعا عليهم، وقد استجاب الله له، وقضى بهلاك قوم نوح بالغرق، وأمره أن يصنع سفينة النجاة ليركب فيها والمؤمنون معه.

4- نوح يصنع السفينة:

«أمره الله تعالى بعمل الفلك لتكون لنجاته ومن معه من الغرق العتيد أن يأتي على القوم، فصاروا إذا مروا عليه سخروا منه ومن عمله، ولعل أشد ما أثار سخريتهم منه أن علموا أنه يعمل تلك السفينة لينجو بها ومن معه من العذاب النازل بهم استبعادا منهم لوقوعه، فكان هو أيضا يسخر منهم ومن غفلتهم عن الحق وبلادتهم عن أخذ الحيطة لأنفسهم باتباعه بإحسان وتنحية أنفسهم وصار يتهددهم بذلك العذاب»[2].

ولما أتم نوح عليه السلام صنع السفينة وظهرت علامات بدء العذاب بتفجير العيون من الأرض ونزول الماء من السماء، أمر الله نوحا بأن يحمل فيها من الأحياء والحيوانات زوجين اثنين ذكرا وأنثى ليبقى ويستمر نسلها، كما أمره الله أن يحمل معه أهله ما عدا من كفر منهم، وهم إحدى زوجاته وأحد أبنائه، كما أمره أن يحمل معه المؤمنين به وهم قليل.

5- إتمام نوح سفينته:

«فلما أتم نوح عدته وجاء الموعد ورأى الأمارة التي بينه وبين ربه على ابتداء أمر الطوفان وهو أن يفوز تنور أهله الذين يعملون فيه الخبز بأن ينبثق الماء فيه، أمره الله

1- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص 34.

2- المرجع نفسه، ص 34.

تعالى أن يحمل في السفينة أهله ويدخل فيها من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين وأهله إلا زوجه، وأن يأخذ معه من آمن من قومه وكانوا قليلا، قيل كانوا ستة، وقال بعضهم: كانوا أربعين رجلا وامرأة، فلما استووا على ظهر السفينة حلت عز إليها السماء، وانفجرت عيون الأرض، وحملت المياه السفينة ومن فيها، ومكثت ما شاء الله أن تمكث إلى أن غرق كل ما على الأرض من إنسان وحيوان، ثم استقرت السفينة على الجودي من جبال أراراط، ولما أراد نوح دخول السفينة نادى ابنه وكان في معزل عنه وقال: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، فأبى أن يلبي نداء والده المشفق لأنه لا يثق بصدق والده من أن كل من كان خارجا عن السفينة هالك، قال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، فهلك ذلك الولد»[1].

تفجرت عيون الأرض، وانسكبت سحب السماء، ووقع قضاء الله، فدعا نوح عليه السلام ولده في آخر الساعات قبيل غرقه، ولكن هذا الولد رفض الإيمان، وظن النجاة بالاعتصام بالجبل، وجرت السفينة بأمر الله، وقضي الأمر، فكان ولد نوح من المغرقين.

6- استشفاع نوح في ابنه:

«وأراد نوح أن يستنجز وعد الله بنجاة أهله فقال: رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين، فرد الله عليه بأنه ليس من أهله، وعاتبه في أن يسأله ما ليس له به علم، إذ كان من حق نوح أن يعلم أن من كان خارج السفينة فليس ممن وعده الله بنجاتهم، فاعتذر نوح عن ذلك، وطلب المغفرة والرحمة على ما فرط منه إلى أن تمت المدة التي لم يكن للسفينة أن تقر فيها على الأرض، واستوت السفينة على جبل

1- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص 35.

الجودي من ديار بكر، وخرج من فيه السفينة وبارك الله فيهم، فكثروا وملأوا الأرض، ولم ينسل من كان مع نوح من غير أبنائه»[1].

تحسر نوح على ولده وهو في السفينة تجري بأمر الله، وتمنى أن يكون معه ناجيا، وعتاب الله له، وإخباره بأن هذا الولد ليس من أهله، لأنه كافر وعمل عملا غير صالح.

يقول تعالى في سورة هود: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ

1- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص 35.

إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

نلاحظ من خلال ما تطرقنا إليه من ملخص لقصة نبي الله نوح عليه السلام جوانب اجتماعية، تربوية وعقدية كذلك الجوانب الفنية التي هي محور دراستنا.

المطلب الثاني: السور التي وردت فيها قصة نبي الله نوح عليه السلام

لقد ذكرت قصة نوح وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه الله وأصحاب السفينة في عدة مواضع من القرآن الكريم، بعضها أشار إليها أثناء الحديث، وبعضها ذكر قصة مفصلة لبعض أحداثها، كما خصه الله تعالى بسورة باسمه وهي سورة نوح، وقد دلت هذه السورة على محاوراته لقومه طول مدة دعوته لهم: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

«كما جاءت أكثر السور التي وردت فيها قصة نوح مكية، ذلك لأن السور المكية تكون تصريحا وتعريضا بأن الله سبحانه وتعالى سينجز وعده، ويقيم دينه ويظهره»[3].

وهذا ما حدث في قصة سيدنا نوح عليه السلام، فقد نصره الله ومن آمن معه من قومه الذين كانوا طغاة لم يمنعهم دعاؤه ونصحه لهم، فأهلكهم الله بالطوفان.

1- سورة هود، الآية 37-48.

2- سورة العنكبوت، الآية 14.

3- ناصر حامد أبو زيد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط06، 2005، ص 92.

ويمكن حصر الآيات التي تلخص لنا هذا كله فيما يلي:

السورة القرآنية	القصة في آيات السورة
الأعراف مكية	﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾
يونس مكية	﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾
هود مكية	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ

﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ
فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ
رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن
طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ
ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ
ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ
قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ
وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي
وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ
إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ
بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ
ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا
فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ
يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا
ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ
ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا

	وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾
الأنبياء مكية	﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾
المؤمنون مكية	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا

	بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾
الفرقان مكية	﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾
الشعراء مكية	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ

	ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾
العنكبوت مكية	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾
الصافات مكية	﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾
الذاريات مكية	﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾
القمر مكية	﴿۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾

التحريم مدنية	﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ ﴾
نوح مكية	﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ ﴾

وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾ ﴾	

نلاحظ أن أغلب السور مكية، لأن محور القصة يدور حول توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فهي تسرد قصص الأمم السابقة والتي هلكت بسبب كفرها وعنادها، وهناك صراع بين الشرك والتوحيد، ودعوة قوم نوح إلى الإيمان.

المطلب الثالث: أهداف قصة نوح عليه السلام

إن قصة نوح عليه السلام من أكثر القصص التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، فهي تحمل العديد من العبر والدروس التي يستفيد منها المسلم عموما، والداعون إلى الله على وجه الخصوص، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ ﴾[1]. فقد حوت قصة نوح عليه السلام من الفوائد عجبا، ومن العبر دررا، ومن العظات حسنا وجمالا، لن تغيب عبرها عن داعية صادق، ولا عظاتها عن مرب نابه، ومن أشهر فوائدها ودروسها وعبرها ما يلي:

1/ دروس عقدية: النهي عن الشرك بالله سبحانه وتعالى، والتأكيد على عظمة الله، والتحذير من عواقب الشرك الوخيمة في الدنيا قبل الآخرة، كذلك الإيمان بالله، لذلك فإن

1- سورة الحاقة، الآيات 11-12.

دعوة الرسل واحدة على مر الأزمان، وهي الدعوة إلى التوحيد وعدم الشرك بالله، قال تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[1].

كانت عبادة الأصنام منتشرة في قوم نوح عليه السلام وتكررت بعده في أجيال متعاقبة مثل قوم إبراهيم عليه السلام وقوم إلياس، ثم تكررت في قريش حتى جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وكسرها.

«إن قوم نوح هؤلاء هم ذرية آدم، وآدم كما نعلم من قصته في سورة الأعراف من قبل وفي سورة البقرة كذلك، قد هبط إلى الأرض ليقوم بمهمة الخلافة فيها... وإذن فقط هبط آدم إلى الأرض مسلما الله متبعا هداه وما من شك أنه علم بنية الإسلام جيلا بعد جيل وأن الإسلام كان هو أول عقيدة عرفتها البشرية في الأرض حيث لم تكن معها عقيدة أخرى، فإذا قد صاروا إلى هذه الجاهلية، التي وصفتها القصة في هذه السورة فلنا أن نجزم أن هذه الجاهلية طارئة على البشرية بوثنيتها وأساطيرها وخرفاتها وأصنامها وتصوراتها وتقاليدها جميعا، وأنها انحرفت عن الإسلام إليها بفعل الشيطان المسلط على بني آدم وبفعل الثغرات الطبيعية في النفس البشرية»[2].

دلالة قصة نوح عليه السلام على مصدر القرآن، فقد نص القرآن في ختام قصة نوح عليه السلام على دلالة القصة التي أوردها على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾[3]. أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم حتى يقول

1- سورة الأعراف، الآية 59.

2- سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 156.

3- سورة هود، الآية 49.

من يكذبك أنك تعلمتها منه، بل أخرك الله مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك»[1].

التسليم بحاجة البشرية إلى الهداية الربانية والتي بدونها لا تستقيم الحياة على الأرض، ولا يتعرف الإنسان على حقيقة رسالته في الدنيا، ولا على مصيره من بعدها، كذلك اليقين بأن من رحمة الله بعباده إرسال الأنبياء الواحد تلو الآخر من أجل هداية الناس إلى دين الله الحق على الرغم من إعراض الغالبية الساحقة من البشر عنهم، ومحاربتهم لهم، واضطهادهم إياهم، ومطاردة الذين آمنوا بهم وبرسالاتهم في كل أرض، يقول سيد قطب: «تبدأ السورة بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتوكيده، فهذا هو المصدر الذي يتلقى منه التكليف، كما يتلقون حقيقة العقيدة، وهو المصدر الذي صدر منه الوجود كله، وصدرت منه الحياة، وهو الله الذي خلق البشر، وأودع فطرتهم الاستعداد لأن تعرفه وتعبده، فلما انحرفوا عنها وزاغوا أرسل إليهم رسله يردوهم إليه»[2].

2/ دروس دعوية:

- الشجاعة في إبداء الرأي، والغيرة على الحق وإفهام المعترضين على دعوته أنه سيمضي قدما في طريقه، فهذا نوح عليه السلام يعلن الدعوة لقومه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾[3].
- إن الإنسان العاقل والداعي الحكيم هو الذي يسوق لغيره النصائح والإرشادات بأساليب متنوعة، تارة عن طريق الترغيب والترهيب، وتارة عن طريق الدعوة إلى التأمل والتدبر في خلق الله، وأحيانا أخرى عن طريق بيان مظاهر نعم الله على عباده، وقد رغب نوح عليه السلام قومه، يقول سيد قطب: «وفي أثناء ذلك

1- إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 284.

2- سيط قطب: في ظلال القرآن، ص 3710.

3- سورة نوح، الآية 08.

كله أطمعهم من خير الدنيا والآخرة، أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم، فهو سبحانه غفار الذنوب، وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ويرجونها، وهي المطر الغزير الذي تنبت به الزروع، وتسيل به الأنهار، كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها، وهي البنين والأموال التي يطلبونها ويعزونها»[1].

- استغلال عموم الأوقات، واختيار الأسلوب المناسب والأقرب للاستجابة ومن الأساليب التي اتبعها نوح عليه السلام في دعوته لقومه أن دعاهم سائر الأوقات، فلم يقتصر على وقت دون وقت، فكانت دعوته عليه السلام بالليل والنهار، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝﴾[2].

وفي هذا دلالتان:

الأولى: أن ذلك يدل على اجتهاده عليه السلام في الدعوة إلى الله، وحاول استغلال الوقت المناسب، ولم يحصر الدعوة في وقت معين.

الثانية: أنه يحاول اختيار الأنسب والأقرب لاستجابتهم، ويراعي اختلاف طبائعهم، فمن لم تنفع معه دعوة النهار، دعاه بالليل.

3/ دروس اجتماعية:

نجد في قصة نوح عليه السلام دروس وعبر، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 3713.

2- سورة نوح، الآية 05.

مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

إن الولد الغير صالح قد يأتي من بيئة صالحة، بل لبرما كان والده نبيا ولكن التكليف يشمل كل إنسان، وكل إنسان يتحمل نتائج عمله.

إن القضاء الإلهي إذا أبرم على الكافرين، لا تنفعهم شفاعة.

1- سورة هود، الآيات 45-46.

المبحث الثاني: العناصر القصصية في قصة نوح عليه السلام

المطلب الأول: الأحداث والشخصيات

أ/ الأحداث:

كانت الأحداث في هذه القصة تبدأ من أن قوما يعبدون الأصنام، ثم أرسل إليهم نوحا ليدعوهم إلى عبادة الله، لكنهم رفضوا دعوته بل هم ينكرون نبوته ويظنون بأنه من الكاذبين، ومن أهم الأحداث في قصة نوح عليه السلام لما بلغ نبي الله درجة اليأس من إيمانه قومه بعد خمسين وتسعمائة سنة، فدعا الله أن يصنع السفينة لتكون أداة لنجاته ومن معه من الغرق، كما صوره سبحانه وتعالى في سورة هود، قال تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا ٣٨ تَسۡخَرُونَ﴾[1]. وكان هذا الأمر من الله استجابة لدعاء نبيه بعد أن يئس من إيمان باقي قومه.

وكان الحدث يبلغ ذروته لما أتم نوح السفينة، ورأى الأمارة التي بينه وبين ربه على ابتداء أمر الطوفان، فقد أمر سبحانه وتعالى أن يحمل في السفينة أهله ويدخل فيها من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين، وهنا يبدأ الحدث الأكبر في القصة وهو الطوفان «لقد شغلت حادثة الطوفان حيزا من آيات القرآن الكريم، وجاءت مفرقة في أكثر من عشر سور كريمات، فرسمت لنا صورة مفصلة عن الحادثة ودقائقها، كيف حدثت، ولماذا، وأين، ومن نجاة ومن أغرق».

1- سورة هود، الآية 37-38.

ب- الشخصيات:

لقد صورت قصة نوح عليه السلام نماذج متنوعة، بعضهم يصور في جوانب الخير وبعضهم يصور في جوانب الشر، والأشخاص في هذه القصة تنقسم إلى قسمين: الشخصية الأولى وهي الشخص الذي يكون أكثر دورا في القصة، ودونه كانت القصة لا توجد، والشخصية الثانية هي الشخص الذي يكون مساندا للشخصية الأولى[1].

1- الشخصية الأولى: تمثل في نوح عليه السلام، يقول تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾[2]. وفي سورة هود: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥﴾[3]. أي أرسلناه رسولا إلى قومه بعد أن امتلأت الأرض بشركهم وشرورهم.

2- الشخصية الثانية: تمثل في الملأ من قومه وهم الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم، وأهل نوح وهم أهل بيته وقربته، فالملأ ذكرهم الله في قوله: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾[4]. أرادوا أن يحجوا نوحا من وجهتين: أحدهما أن المتبعين له أراذل القوم ليسوا قدوة ولا أسوة، والثاني أنهم مع ذلك لم يتروووا في اتباعه، ولا أمعنوا الفكر في صحة ما جاء به، وإنما بادروا إلى ذلك من غير فكرة ولا روية، وعرضهم ألا تقوم الحجة عليهم بأن منهم من آمن به وصدقه،

1- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام، دار كيون للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط01، 2009، ص 127.

2- سورة الأعراف، الآية 59.

3- سورة هود، الآية 25.

4- سورة هود، الآية 27.

قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾[1]. أي ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلا رجل من البشر يريد أن يطلب الرياسة والشرف عليكم النبوة لتكونوا له أتباعا، لو أراد الله أن يبعث ملكا ليس بشرا، وأهل نوح ذكرهم الله في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾[2]. أي إعمار في السفينة من كل صنف من المخلوقات وقرابته وأولاده ونسائه، فحمل نوح عليه السلام أهله إلا من لم يؤمن بالله فكان منهم ابنه الذي انعزل وحده وامرأة نوح فكانت كافرة بالله.

3- شخصية زوجة نوح عليه السلام:

لقد ضرب الله بها مثلا مع امرأة لوط، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾[3]. لقد كانت خيانتهما في الدين، ليس في الفاحشة، حيث كانت تسخر مع قومها الساخرين من نوح عليه السلام.

«كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما –لما عصتا– شيئا من عذا الله»[4].

1- سورة المؤمنون، الآية 24.

2- سورة هود، الآية 40.

3- سورة التحريم، الآية 10.

4- أحمد بن أبي القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح: محمد رضوان عرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 1427هـ-2006م، ج21، ص 103.

إن زوجة نوح عليه السلام لم تؤمن بدعوته، فالخيانة أنها كانت مشركة على غير دينه، لذلك فقد ماتت امرأة نوح عليه السلام غرقا بالطوفان العظيم هي وابنها لأنهما رفضا أن يركبا مع نوح عليه السلام في السفينة، ورفضا أن يؤمنا بدعوته، وماتت امرأة نوح على كفرها.

4- شخصية ابن نوح عليه السلام الذي كان من المفرقين: لقد نادى نوح عليه السلام ابنه ليركب معه في السفينة، حيث كان يقف بمعزل منه، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾[1]. لكنه لم يستمع لنصيحة أبيه، وظن أنه عندما يصعد جبلا مرتفعا لن يصل إليه الماء، فكان من نتيجة عصيانه لأبيه أن غرق مع الكافرين، لأن الله عز وجل عادل يحاسب كل أحد بمقتضى عمله.

المطلب الثاني: الحوار في قصة نوح عليه السلام

لقد أخذ حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم حيزا كبيرا من قصص القرآن وآياته، ولما كان نبي الله نوح عليه السلام قد أطال المكث في دعوة قومه، حيث أخبرنا الله تعالى أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ولاشك أن هذه السنين الطويلة التي قضاها معهم تضمنت آلاف الحوارات لدعوة المعاندين من قومه، والرد على شبهاتهم وتفنيد أباطيلهم، حتى إنهم قالوا له: ﴿يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾[2].

والقرآن الكريم عني بقصة نوح عليه السلام في 28 سورة منه، وأورد عددا من حواراته في بعض تلك السور، بل خصصت سورة خاصة تحمل اسمه وتحكي قصته، وكان مجموع الآيات التي أشير فيها إلى قصة نوح في كتاب الله تعالى 127 آية موزعة على تلك السور، ونذكر هنا ما تضمن حوارا من هذه السور بإيجاز:

1- سورة هود، الآية 42.

2- سورة هود، الآية 23.

1/ ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾[1].

تضمنت هذه الآيات حوارا أبداه نوح عليه السلام بدعوة قومه إلى عبادة الله وتذكيرهم بعذابه، فما كان من قومه إلا أنهم رموه بالضلال المبين فنفى عن نفسه تهمة الضلالة مبينا حقيقة رسالته وهدف بعثته وغاية دعوته.

2/ ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾[2].

1- سورة الأعراف، الآيات 59-64.

2- سورة يوسن، الآيات، 71-73.

«تذكر الآيات موقفا لنوح عليه السلام يخاطب فيه قومه متحديا له أن يمسوه بسوء ولو اجتمعوا جميعا وأظهروا كل ما عندهم من الكيد، وقد عجزوا عن ذلك، فكان برهانا قاطعا عن صحة رسالته، وعلم أنه الصادق حقا، وهم الكاذبون»[1].

3/ سورة هود: وجاء فيها 25 آية من قصة نوح عليه السلام، وقد أطالت هذه الآيات في عرض قصة نوح عليه السلام، وأوردت جملة من حواراته مع قومه: «دعاهم فيها إلى عبادة الله وتصديق رسالته، وأظهر لهم دلائل نبوته وعلامات صدقه، ورد عليهم شبهاتهم وافتراءاتهم، التي كانت منها كونه من البشر وأن أتباعه الضعفاء والفقراء، ولما فند شبههم وأوضح حجج وبراهين صدقه، ازدادوا كفرا وعنادا وجهلا وضلالا، فاستعجلوا طلب العذاب، ثم سخروا منه فرد على سخريتهم حتى أغرقهم الله، وكان منهم ابن نوح، فنشأ حوار جديد بين نوح وربه عز وجل مع العتاب عن سؤاله ومراجعته فيما ليس له به علم، فندم واستغفر ربه وأناب»[2].

4/ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾[3]. تضمنت الآيات إشارة إلى حوار نوح عليه السلام مع الله عز وجل، واستجابته سبحانه لمناداته وإنجائه من الكرب العظيم.

5/ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ

1- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار السلام للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط03، 1422هـ-2002م، ج02، ص 333.

2- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 369.

3- سورة الأنبياء، الآيات 76-77.»

وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾[1]. وقد تضمنت جزءا من حوار بين نوح وقومه، حيث دعاهم إلى عبادة الله وحده وحذرهم عقوبته، فاعترضوا عليه لكونه بشرا منهم وليس ملكا منزلا، واتهموه بالجنون فتوجه إلى خالقه ومولاه يطلب نصرته فنجاه الله وأهله وأغرق القوم الظالمين.

أنواع الحوار في قصة نوح عليه السلام:

حوى القرآن الكريم جملة كبيرة من الحوارات، وبالنظر إلى قصة نوح عليه السلام، نجد أنها احتوت على ثلاثة أنواع من الحوارات، وهي:

1/ حوار بين الله عز وجل ونبيه الكريم نوح عليه السلام، وقد أخذ هذا النوع عددا كبيرا من الآيات، ذلك أن سورة نوح خصصت لقصة نوح وقومه، «اختصر فيها جهد وعناء تسعمائة وخمسين عاما، وكأنها الوقفة الأخيرة لنبي الله نوح عليه السلام وهو يعرض على ربه سبحانه حسابه الأخير وخلاصة دعوته وحصيلة عمله طوال تلك السنين»[2].

«وقد بدأ هذا النوع من الحوار بتكليف الله عز وجل لنبيه نوح عليه السلام بالرسالة، ومن ثم بيان مضمونها: ﴿**أن أنذر قومك**﴾»، أي فقلنا له: أنذر قومك[3]، ومن هنا ينشأ الحوار، فبعد هذا التكليف الرباني والأمر الإلهي الذي لا يسع إلا الانقياد له، انطلق نوح ينذر

1- سورة المؤمنون، الآيات 23-27.

2- سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 3706.

3- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص 193.

ويحذر، ويعظ ويدعو، ولما كان المقام هنا العرض المختصر فقد طويت سنين العمل الدؤوب والجهد المضني ليصل في نهاية المطاف مع نوح عليه السلام وهو يشكو قومه ويعرض خلاصة ما قام به وما قاله لهم وماذا ردوا عليه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ ﴾[1]، ثم يجدد الخطاب لربه مؤكدا عصيانهم وعنادهم ومكرهم واستكبارهم ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ ﴾[2].

وأخيرا تعرض الآيات المشهد الأخير من قصة نوح وحواره مع الله عز وجل، «حيث دعا ربه طالبا منه استئصال الكافرين من الأرض، وأهلك الظالمين، والعفو والمغفرة للمؤمنين، وقد شمل دعاؤه بالهلاك كل ظالم إلى يوم القيامة، كما شمل دعاؤه بالمغفرة كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة»[3].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝٢٨ ﴾[4].

2/ حوار بين نوح عليه السلام وقومه: وقد بدأه نوح عليه السلام استجابة لأمر الله تعالى الذي أرسله نذيرا لقومه، وهو يتضمن تبليغ الرسالة والحث على توحيد الله وعبادته وتقواه وطاعته، طمعا في رضاه ومغفرته، والتحذير من عذابه ونقمته، مع توضيح دوره

1- سورة نوح، الآيات 05-06.
2- سورة نوح، الآيات 21-22.
3- سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 3713.
4- سورة نوح، الآية 26-28.

ومهمته: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾[1].

«ولما واجهه قومه بالكفر والعناد، والإصرار والاستكبار، نوع لهم الأساليب وغير لهم الوسائل لعلهم يستجيبون، وكان من ذلك أن أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم، وأخبرهم بثورة الاستغفار وأنه سبب في السعة والرزق ونزول الغيث وكثرة الأموال والأولاد»[2].

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾[3]. لقد تعددت مواقف الحوار بين نوح وقومه نظرا لطول فترة دعوته لهم، ولشدة عنادهم وإصرارهم، ففي موقف آخر يأخذ بهم إلى آيات الله في أنفسهم وفي الكون من حولهم: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۝١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ۝٢٠﴾[4].

1- سورة نوح، الآيات 02-04.

2- سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 3713.

3- سورة نوح، الآيات 10-12.

4- سيد نوح، الآيات 15-20.

3/ حوار بين الكافرين من قومه، وهذا النوع من الحوار نشأ بعد العصيان والإعراض، والاستكبار والعناد الذي واجه به قوم نوح رسالته، فلم ينفعهم التذكير والتحذير، ولا الإطماع بالمال والبنين، فأبوا إلا الكفر والتكذيب، ولم يكتفوا بهذا الضلال بل زادوا عليه بالمكر والكيد «وكان من مكرهم تحريض الرؤساء للأتباع والعامة على الكفر والعصيان وعدم الاستجابة لدعوة نوح عليه السلام وحثهم على الإمساك بالأصنام التي كانوا يتخذونها آلهة ن دون الله، وخصوا بالذكر أكبر الأصنام ليثيروا الحمية في قلوب الدهماء بألا يدعوا ما كان عليه آباؤهم الأقدمون»[1]. يقول تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾[2].

4- حوار نوح عليه السلام وابنه:

لقد دار حوار بين نوح عليه السلام وابنه حوارا قبل أن يحول الموج بينهما فجأة، نادى نوح قائلا: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[3]. ورد الابن عليه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴿٤٣﴾ ﴾[4]. عاد نوح يخاطبه: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾[5]، وهكذا انتهى الحوار بين نوح وابنه.

أساليب الحوار في قصة نوح عليه السلام:

من المعلوم أن للحوار أساليب عديدة استخدمت كثيرا منها في القرآن الكريم ونجد بعض الحوار في قصة نوح في سورة نوح عليه السلام وهي كالآتي:

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 3716.
2- سورة نوح، الآية 27.
3- سورة هود، الآية 42.
4- سورة هود، الآية 43.
5- سورة هود، الآية 43.

1- الاستدلال: والمقصود به إيراد الأدلة الصحيحة والواضحة والحجج الداهمة لبيان الحق وتفنيد شبهات الباطل وكذا المطالبة بإثبات الدعوى بالدليل والبرهان وهو أصل مهم في كل حوار وهو معتمد على شرط العلم الذي لابد من توفره في كل من يتصدى للحوار والإقناع حتى لا يتحول الحوار إلى جدل عقيم لا فائدة منه ولا ثمرة[1]. ولاشك أن من يحمل الحق المؤيد بوحي الله عز وجل هو الذي يملك الدليل والبرهان القاطع الذي لا تقوم أمامه الشبهات وتتناثر بين يديه الحجج الواهيات، ونبي الله نوح عليه السلام أورد في حواراته جملة من الأدلة، وانتقل فيها من برهان إلى برهان خاصة فيما يتعلق بإثبات البعث والنشور، حيث أقام عليه دليلين كما تقدم هما الاستدلال بالخلق الأول، والاستدلال بخلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾[2].

2- البدء بالنقاط المشتركة ومواضع الاتفاق: ذلك أن هذا الأسلوب يهيء الطرف الآخر لقبول الحق والتسليم به، كما أنه يغرب من الهوة التي قد تكون بين الطرفين، حيث يدرك كل طرف أن بينهما نقاط التقاء يمكن أن تكون أساسا لبناء الحوار، ولعل هذا النوع ما ذكره نبي الله نوح عليه السلام من التذكير بنعم الله عز وجل من إنزال المطر وسعة الرزق بكثرة الأموال والأولاد، لقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾[3]. وكذا ما تقدم من تذكيره بخلق

1- يحي بن محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط01، 1994، ص 309.
2- سورة نوح، الآية 13-20.
3- سورة نوح، الآية 11-12.

الله لهم وإيجاد السماوات وما جعل فيها من الشمس والقمر وبسط الأرض وفتح الطرف فيها مما هو مشاهد ولا مجال لإنكاره.

3- «الوعظ والتذكير والترغيب في فضل الله ونعمه الدنيوية المرتبطة بتقواه واستغفاره كنزول المطر وحصول أنواع الأرزاق وأصناف المتاع ودفع الهلاك إلى أجل مسمى»[1]. وأعظم من ذلك مغفرة الذنوب في الآخرة والنجاة من عذاب الله تعالى وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[2]. وقوله أيضا: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾[3].

ومن ثمة الترهيب والتحذير من الاستهانة بأمر الله وترك تعظيمه وإجلاله لقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾[4]. قال ابن كثير رحمه الله: «هذا مقام الدعوة بالترغيب ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب»[5].

4- التدرج والبدء بالأهم بعد ذكر المقدمات وتهيئة الجو المناسب وتحديد نقاط الاتفاق، إذ أن الحوار مجال واسع وقد يتشعب الحديث ويستهلك الوقت فيما لا نفع فيه ومن ثم ينبغي أن يبدأ بأصل القضية بعد ذكر مقدماتها وهذا ما فعل نوح عليه السلام في أول حوار مع قومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾[6]. لقد

1- ينظر: عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيرو، ج05، ص 311.ت، ط01، 1420هـ-2000م، ج05، ص 311.

2- سورة نوح، الآية 04.

3- سورة نوح، الآية 10-12.

4- سورة نوح، الآية 13.

5- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ص 42.

6- سورة نوح: الآية 02-03.

دعاهم منذ البداية إلى أصول مهمة وهي عبادة الله وحده وتقواه وطاعة رسوله، ثم أعقب ذلك ببيان ما يترتب على الاستجابة لأمر الله –مما تقدم ذكره– من المغفرة وسعة الرزق ودفع الهلاك.

5– الإسرار والإعلان: إن طول الفترة التي قضاها نوح عليه السلام في قومه وشدة عنادهم وإصرارهم على ضلالهم، استدعت تنويع الأساليب وتعدد الطرق وتغيير الوسائل، لعل طريقة تنفع أو أسلوبا يؤثر ما لا يؤثر غيره، وهذا ما وضحه نوح عليه السلام مبينا أنه قد استنفذ كل الوسائل في حواره مع قومه لدعوتهم إلى الحق، حيث قال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ﴾[1].

لقد دعاهم جهارا بمسمع منهم كلهم وحاورهم جهرة بين الناس، كما أنه أعلن كلامه ظاهرا بصوت عال، إضافة إلى أنه أسر فيما بينه وبينهم[2].

6– **السؤال والاستفهام:** من الأساليب المتبعة في الحوار طريقة السؤال والاستفسار وله عدة أغراض، فقد يكون السؤال للاستيضاح والاستفسار وله عدة أغراض فقد يكون وطلب التفصيل والبيان (والمعرفة) وقد يستخدم الاستفهام للإنكار على المخالف قولا أو فعل يعرف فساده أو تناقضه وضعفه[3]. كما في قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ ﴾[4].

هذه بعض الأساليب التي استخدمت في سورة نوح، وقد استخدمت أساليب أخرى في قصة نوح عليه السلام في غير هذه الصورة كالتحدي مثل جاء في قوله تعالى: ﴿

1– سورة نوح: الآية 8–9.

2– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج04، ص 425.

3– ينظر: ابن الجوزي، زاد الميسر، دار ابن حزم، المكتب الإسلامي، (د.ط)، (د.س)، ج08، ص 371.

4– سورة نوح: الآية 13.

وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾[1]، والحوار الناجح هو الحوار الذي يقوم على الأسس الآتية: الحجج والبراهين، التدرج في الحوار، تنوع أساليب الحوار، نقاط الالتقاء، الوعظ.

المطلب الثالث: المكان والزمان:

1/ المكان: «حينما ننظر إلى القصص القرآني المعجز من الزاوية المكانية فيه نجد أن القرآن الكريم ينظر إلى المكان على النحو الذي ينظر به إلى الزمان، فهو لا يعني بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها، إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث أو يبرز ملامحه أو يقدم شواهد العظة والعبرة منه، ففي هذا يلتزم القرآن الكريم بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها وذلك في بيان الغرض من القصة وتهب منه على الحدث سمات وأشعة ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظيمة تفتقدهما الحادثة إذ هي لم تجيء في صحبة المكان المنصوص على اسمه ولم تلبس به»[2]. وفي قصة نوح عليه السلام ذكر المكان عندما احتيج إلى أثره المباشر في نمو الحدث، حيث يحكي لنا المولى عز وجل الحوار القصير الذي دار بين نوح عليه السلام وابنه قبل أن يحول بينهما الموج فجأة نادى نوح ابنه قائلا: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[3].﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾[4].

1- سورة يونس: الآية 71.

2- ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية، ط01، 1384هـ-1928م، ص ص 42، 43.

3- سورة هود، الآية 42.

4- سورة هود، الآية 43.

ثم أصدر الأمر الإلهي إلى السماء أن تكف عن الأمطار وإلى الأرض أن تستقر وتبتلع الماء وإلى أخشاب السفينة أن ترسو على الجودي وهو اسم مكان يقال أنه جبل في أرض الجزيرة أو العرق، طهر الطوفان الأرض وغلسها، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[1].

2/ عنصر الزمن:

«للقرآن منهج خاص في عرض التاريخ، وتصوير الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي فتراه مثلا إذا أورد قصة من الزمن الماضي لا يذكر لنا في أي سنة بدأت أحداث هذه القصة، ولا في أي سنة انتهت ونراه كذلك لا يذكر ترتيبها الزمني في التاريخ بمعنى أنه لا يحدد زمان القصة بألف أو ألفين قبل الميلاد، أو بعده أو قبل البعثة أو نحو ذلك وسبب ذلك أن النص على الزمن الذي وقعت فيه أحداث لقصة القرآنية لا يضيف شيئا إلى عبرة القصة ومغزاها»[2].

وينبغي أن لا نفهم من ذلك أن الزمن ليس له قيمة في كتاب الله عز وجل، فالحقيقة أن القرآن الكريم قد أعطى للزمن وتنظيمه قيمة كبيرة، وحرص كل حرص على التصريح بكل جزئية من جزئيات الزمن التي تساعد في توضيح الحدث أو القصة معرفة واعتبارا، فالعنصر الزمني يظهر حيث يتطلبه الموقف ويستدعيه المقام لإخراج الحدث في صورة تقرب المشهد وتجليه وتكشف مراميه، ليكون له مكانة الملحوظ في سير الأحداث[3].

1- سورة هود: الآية 44.

2- محمد الصاوي الحيوني، جماليات المضمون والشكل في الإعجاز في القرآن، المعارف، الإسكندرية، القاهرة، 1983م، ص ص 21-22.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

عاش نوح عليه السلام عمرا مديدا طويلا، وقد أخبرنا الله عن بعض مقدار عمره، لا كله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾[1].

ومعنى قوله: «فلبث فيهم» أن نوحا مكث بين قومه بعد النبوة تسعمائة وخمسون سنة، وهذه المدة ما بين النبوة ووقوع الطوفان[2]. وقد خرص القرآن على ذكر الزمن هو ألف سنة إلا خمسين عاما، وذكر الزمن في القرآن يكون مرتبطا بالهدف وهو العبرة، دون الاقتصار فقد عاش نوح أكثر من ألف سنة على ثلاث مراحل أما كم كان عمر نوح عندما جعله الله نبيا؟ فإننا لا نعرف ذلك لأن الله لم يخبرنا عنه وبعدما استوت السفينة على جبل الجودي، ونزل منها نوح والمؤمنين واستأنفوا الحياة من جديد، عاش نوح مدة أخرى، ومرحلة أخرى من عمره لا نعرف مقدارها، لأن الله لم يخبرنا عنه، كما أننا لم نعرف تفاصيل حياة نوح عليه السلام واتباعه بعد الطوفان أو أين أقاموا؟[3] فقد كان عمر نوح على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما بين ولادته ونبوته، وهذا لم يخبرنا الله عنها فلا نعرف شيئا عن مكان ولادته ولا عمره يوم مبعثه.

المرحلة الثانية: ما بين نبوته والطوفان وهي حوالي ألف سنة لقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ١٤﴾[4].

1- سورة العنكبوت، الآية 14.

2- سورة العنكبوت: الآية 14.

3- سورة العنكبوت: الآية 14.

4- سورة العنكبوت: الآية 14.

المرحلة الثالثة: ما بين نزوله من السفينة إلى وفاته، وهذه لم يخبرنا الله عنها، أما والداه فقد آمنا به بعد نبوته ودخلا في دينه، وتخليا عن الكفر بالله لقوله تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾[1].

لقد سأل نوح الله عز وجل أن يغفر له أولا ولأمه وأبيه ثانيا ولمن دخل بيته مؤمنا ثالثا، ثم لجميع المؤمنين والمؤمنات على الزمان والمكان، أينما كانوا وحيثما وجدوا[2].

1- سورة نوح: الآية 27.

2- ينظر: تفسير ابن كثير، ج04، ص 287.

المبحث الثالث: جوانب فنية وإعجازية في قصة نوح عليه السلام

المطلب الأول: التصوير الفني في قصة النبي نوح

«والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية»[1].

1/ الدلالة النفسية في قصة نوح عليه السلام:

أ/ فترة التفاؤل: حيث وجدت دعوة نبي الله في هذه الفترة قبولا لدى قومه، لذلك زرع هذا القبول في نفس نوح عليه السلام ارتياح واستبشار وتيمن، بالرغم من العدد القليل الذي اتبعه قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾[2]. وقال أيضا: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3].

ب/ فترة بداية تسرب اليأس: ذلك لأن رد فعل قومه كان السخرية والتهكم، قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[4]. كذلك قوله عز وجل: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ

1- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، ص 36.
2- سورة هود، الآية 40.
3- سورة الصافات، الآية 75.
4- سورة هود، الآية 27.

يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1]. كذلك قوله تعالى: ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[2].

ج/ فترة اليأس التام: وهنا نجد غلبة الحزن والأسى في نفس نبي الله الكريم الذي لم يلبث أن تحول إلى سخط وغضب، خاصة بعد أن أخبره الوحي أن لا فائدة من صبره ودعوته، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3]. وهنا يأتي دعاء نوح عليه السلام على قومه: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[4].

د/ حزن نوح عليه السلام على ابنه والدعاء إلى الله لنجاته: قد أشفق نبي الله على ابنه فرفع يديه إلى السماء، وتضرع إلى الله عز وجل: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[5]. فكان الرد من الله العظيم أنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم لأنه كان كافرا: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ

1- سورة المؤمنون، الآية 24.
2- سورة الشعراء، الآية 111.
3- سورة هود، الآية 36.
4- سورة نوح، الآيات 26-28.
5- سورة هود، الآية 45.

إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

هـ/ الهدوء والسكينة:

نزل المؤمنون من السفينة عند انتهاء الطوفان، وانطلقت الحيوانات والطيور تستأنف حياتها من جديد، بعد أن أهلك الكافرون ونجى المؤمنون، يقول تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾[2].

2- تصوير المشاهد والمواقف في قصة نوح عليه السلام: وهذا النوع من التصوير أكثر أنواع التصوير شيوعا في القصص القرآني وهو الغالب على أنواع التصوير، إذ نجد القصص القرآني يحفل بعروض حية لكثير من المشاهد، بحيث تبدو كأنها تمثل أمامنا واقعا ملموسا تراه العين ويسبح فيه الحس والخيال، والأمثلة على هذا النوع متعددة قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا

1- سورة هود، الآية 46.

2- سورة هود، الآية 48.

ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

نرى في هذه الآيات الكريمة صورة كلية، وروعة التصوير والوصف الشامل الدقيق إلى حد يجعل منها لوحة تموج بالحركة، ويمكننا أن نقسم الآيات السابقة إلى ثلاثة مشاهد هي:

أ- **المشهد الأول:** يصور فيه سبحانه وتعالى بداية نزول العذاب بأن فار التنور، ويأتي الأمر الإلهي ينبه نوحا في هذا المشهد بأن يحمل على متن السفينة من كل زوجين، وأن يحمل معه أهله باستثناء من حق عليه القول، ويمضي الذكر الحكيم إلى أن الذين آمنوا واستجابوا لدعوة نوح قلة قليلة، وفي ذلك إشارة خاطفة إلى أنهم على الرغم من دعوة نوح لهم وطول حواره لهم، كما جاء على لسان نوح: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ ﴾[2]. فقد أصروا على العناد والكفر، فكان مبررا كافيا لأن يستحقوا من الله كل العذاب.

ب- المشهد الثاني:

«نرى صورة السفينة وهي تمخر عباب الماء محاطة بعناية الله ورعايته، وهو مشهد يموج بالحركة والتموج، إذ نرى فيه الموج الذي شبهه الله بالجبال تهويلا لأمره وتعظيما لشأنه، وفي تلك الأثناء يلوح لنا ابن نوح وهو يغالب الأمواج ويصارعها وهو في معزل عن السفينة وأبيه، وتجري محاورة بين الأب وابنه في لحظات عصيبة يحاول الأب بدافع

1- سورة هود، الآيات 40-44.

2- سورة نوح، الآيتين 8-9.

الشفقة والحنان الأبوي أن يبقى على ولده وذلك بدعوته إلى الإيمان ونبذ الكفر»[1]. ولكن دون جدوى فالله قد ختم على قلبه بالكفر بعد أن حق عليه القول، فيبادره بالإجابة أنه سيأوي إلى عاصم يعصمه من هذا الطوفان المهيب.

ج- المشهد الثالث:

ويتمثل في بداية الانفراج للأزمة بعد أن بلغت من التعقيد والتصاعد حدا جعل معه القصة تصل إلى ذروتها، إذ نرى في بداية هذا المشهد الأمر الإلهي والذي يقول للشيء كن فيكون، يصدر أمرا للأرض وللسماء في يسر وسلاسة، يصل في ألفاظه حد الإعجاز، فالأمر الأول للأرض ببلع تلك المياه، ولا تخفى هنا دقة التصوير واختيار الألفاظ التي تقوم عليه، «فاختيار البلع دون غيره لأنه تتحقق به سرعة الجفاف بقوة تساوي قوة الانبجاس، وكذا الحال مع اقلعي فهو أمر دل على سرعة انقشاع السحب دفعة واحدة ومن ثم توقف المطر»[2].

فلو بحث في كلام العرب لما وجد فيه مثل هذه الآية من حسن نظمها، وبلاغة وصفها واشتمال المعاني فيها.

ولعلنا نرى من تشابك المشاهد الثلاثة، بشكل يبرز الصورة الكلية لتلك الأحداث المهيبة العظيمة، ما يكون صورة أمام المتلقي فيرسمها بالألفاظ التي عبرت بإتقان تام عن المقصود.

1- محمد جاد المولى: قصص القرآن، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط02، 1993، ص 24.

2- محمد الطبري: قصص الأنبياء، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1989، ص 92.

المطلب الثاني: الدراسة الفنية لقصة نوح عليه السلام

1 مسائل علم البيان في قصة نوح عليه السلام

أ/ التشبيه:

«التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ ﴾[2].

ب- المجاز المرسل: «وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه»[3]. وله علاقات كثيرة، يقول تعالى:

- ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ ﴾[4]. مجاز مرسل علاقته محلية، فقد أراد بالسماء المطر، لأن المطر ينزل من السماء.

- ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[5]. مجاز مرسل، اعتبار ما سيكون لأنهم لم يفجروا وقت الولادة، بل بعدها بزمن طويل على كل حال، أي لا يلدوا إلا من سيفجر ويفكر، فوصفهم بما يصيرون إليه.

1- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قزقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط08، 1988م، ص 286.

2- سورة هود، الآية 42.

3- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2002م، ص 205.

4- سورة نوح، الآية 11.

5- سورة نوح، الآية 27.

- ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ﴾[1]. مجاز مرسل علاقته الكلية، فالإنسان لا يستطيع أن يضع اصبعه كله في أذنه، بل بعضا منها وهي الأنامل، فنقول إن الأصابع في الآية الكريمة أريد أطرافها، والأطراف جزء من الأصابع، فقد ذكر الكل للدلالة على الجزء.

- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ ﴾[2]. مجاز مرسل علاقته حالية، لقد جعل الضلال ظرفا، والضلال ليس ظرفا يجل فيه الإنسان، لأنه معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانه، وفائدته المبالغة في وصفه بالضلال.

ج- الكناية: «وهي ترك التصريح بذكر الشيء، إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك»[3]، ومنها قوله تعالى:

- ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥ ﴾[4]، فلم يجرؤ العبد الصالح وهو في سفينته وسط الأمواج على الدعاء لابنه العاصي تصريحا، بل كنى بـــ: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾.

1- سورة نوح، الآية 07.

2- سورة الأعراف، الآية 60-61.

3- يوسف السكاكي: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1987، ص 189.

4- سورة هود، الآية 45.

- ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾[1]، فإن المشركين كنوا عن المؤمنين الذين اتبعوا نبي الله بـــ "بادئ الرأي".

- ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧﴾[2]، كناية عن المبالغة في إعراضهم عن الدعوة.

- ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦﴾[3]، كناية عن الشمس بأحد أوصافها وهو السراج.

د- المجاز العقلي: يقول تعالى:

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾[4]، مجاز عقلي فقد أسند اسم الفاعل عاصم إلى المفعول من رحم بمعنى: لا معصوم ومحفوظ من الغرق إلا الذي رحمه الله ونجاه، على طريق المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية، وقرينته الاستحالة العقلية، لأن الإنسان معصوم لا عاصم، إذا لعاصم والحافظ من الغرق هو الله القوي القادر، وفيها خذلان الضالين، والتهكم من الكافرين المعاندين.

1- سورة هود، الآية 27.
2- سورة نوح، الآية 07.
3- سورة نوح، الآية 16.
4- سورة هود، الآية 43.

- ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾[1]، مجاز عقلي، فقد أسند الكبر إلى المقام، والمقام هو كناية عن النفس لأن المكان من لوازمه.

هـ- الاستعارة المكنية: يقول تعالى:

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[2]، فالاستعارة المكنية الكائنة في نداء الأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميز على لفظ التحضيض والإقبال عليها بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء، ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم والبلع عبارة عن تغدير الماء وشربه في بطنها مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان أي ازدراده لطعامه وشرابه، والبلع هو أثر القوة الجاذبة لكمال الشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي ومع هذا فهي قرينة للاستعارة المكنية التي في الماء أي استعارة الماء للغذاء لجامع تقوي الأرض بالماء في الإنبات تقوي الآكل بالطعام.

- ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾[3]، استعارة مكنية، أي نفذوا ذلك الأمر أو أدوا إلى ذلك الأمر، شبه الأمر المحذوف بالدين، ثم حذف المشبه به وأخذ شيئا من خصائصه وهو القضاء، يقال قضى فلان دينه أي أداه.

والاستعارة التمثيلية: يقول تعالى:

1- سورة يونس، الآية 71.

2- سورة هود، الآية 44.

3- سورة يونس: الآية 71.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾[1]، ففي قوله: تعالى ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ شبه الذي لا يهتدي بالحجة لخفائها عليه بمن سلك مفازة لا يعرف طرقها ومسالكها، واتبع دليلا لأعمى فيها على سبيل الاستعارة التمثيلية.

2/ الإيقاع والموسيقى في قصة نوح عليه السلام:

أ/ السجع والموازنة:

السجع:

السورة	الآيات الكريمة	السجع
الأعراف	الآيات 60 و61 الآيات 62 و63	مبين – العالمين تعلمون – ترحمون
يونس	الآيات 72 و73	المسلمين – المنذرين
هود	الآيات 28 إلى 30 الآيات 31 إلى 33 الآيات 34 إلى 38 الآيات من 42 إلى 74	كارهون، تجهلون، تذكرون، الظالمين، الصادقين، بمعجزين، ترجعون، تحرمون، يفعلون، مغرقون، تسخرون الكافرين، المغرقين، الظالمين، الحاكمين، الجاهلين، الخاسرين
المؤمنون	الآيات 24 و25 الآيات 26 و27 الآيات من 28 إلى 30	الأولين – حين مغرقون – كذبون الظالمين، المنزلين، لمبتلين
الشعراء	الآيات 111 إلى 113	الأرذلون، يعملون، تشعرون،

1– سورة هود، الآية 28.

	الآيات 114 إلى 116 الآيات 120 و121	المؤمنين، مبين، المرجومين، الباقين، مؤمنين
العنكبوت	الآيات من 12 إلى 14	لكاذبون، يفترون، ظالمون
الصافات	الآيات 77 إلى 82	الباقين، الآخرين، العالمين، المحسنين، المؤمنين، الآخرين
القمر	الآيات 09 إلى 116	ازدجر، فانتصر، منهمر، قدر، دسر، كفر، مذكر، نذر
نوح	الآيات 3و4 الآيات 5 إلى 14 الآيات 21 إلى 23 الآيات 25 إلى 28	أطيعون، تعلمون نهارا، فرارا، استكبارا، جهارا، إسرار غفارا، مدرارن أنهارا، وقارا، أطوارا خسارا، كبارا، نسر أنصارا، ديارا، كفارا، تبارا

الموازنة:

السورة	الآيات	الموازنة
الأعراف	الآيات 59و64	عظيم، عمين
هود	الآيات 25 و39 الآيات 41و48	مبين، مقيم رحيم، أليم
نوح	الآيات 15و16و19و24و26 الآيات 17و21 الآيات 27و28	طباقا، سراجا، بساطا، ضلالا، ديارا نباتا، خسارا كفارا، تبارا

ب- الطباق، الإطناب والجناس:

	السورة	الآيات	استخراجه
	الأعراف	الآية 64	فأنجيناه ≠ أغرقنا

	يونس	الآية 73	فنجيناه ≠ وأغرقنا المسلمين ≠ المنذرين
الطباق	هود	الآيات 27و29 الآيات 27 و32 الآية 44 الآيات 29و39 الآيات 42و49	كفروا ≠ آمنوا كاذبين ≠ الصادقين الأرض ≠ السماء تجهلون ≠ تعلمون الكافرين ≠ المتقين
	نوح	الآية 05 الآية 09 الآيات 08و09 الآية 16 الآيات 26و28 الآية 18	ليلا ≠ نهارا أعلنت ≠ أسررت جهارا ≠ إسرارا القمر ≠ الشمس الكافرين ≠ المؤمنين يعيدكم ≠ يخرجكم
الإطناب	نوح	الآية 18 الآية 07 الآية 9 الآية 17 الآية 22 الآية 24	يخرجكم إخراجا استكبروا استكبارا أسررت لهم إسرارا أنبتكم نباتا مكروا مكرا أضلوا ضلالا
الجناس	هود	الآية 44	ابلعي – اقلعي
	نوح	الآيات 16و18	سراحا– إخراجا

المطلب الثالث: جماليات التكرار في قصة نوح عليه السلام

1/ التكرار: «مصدر الفعل "كرر": الرجوع إلى الشيء أو التراجع عنه»[1].

1– ابن منظور: لسان العرب، مادة كرر.

يعد التكرار من الظواهر الفنية في القصة، وهو إعادة سرد القصة أكثر من مرة، وهو على ثلاثة أنواع:

أ/ تكرار زائف: «وهو أن يقدم الكاتب مشاهد بصيغة تكرارية من خلال استخدام صيغة الاستمرار في الماضي (كان يفعل)، وهذه المشاهد التكرارية تعد نوعا من الصور البيانية السردية، إذ يلجأ الكاتب إلى وصف أحد تلك المشاهد وصفا دقيقا مسهبا غنيا بالتفاصيل، مما يمنع القارئ من التصديق أن ذلك المشهد قد تكرر بكل تلك الجزئيات والتفصيلات من دون أي تغيير، وغرض الكاتب هنا هو الإخبار بأن ما كان يقع كل يوم هو من هذا القبيل، وأن الحديث المروي هو أحد تلك المشاهد، وليس غرضه الإيحاء بأن الأحداث كانت تتكرر يوميا بتفاصيلها، ولذلك سمي تكرارا زائفا»[1].

ب- تكرار الحدث: «وهو سرد حدث تكرر وقوعه مرات متعددة في الزمن الماضي، بصيغة تؤلف بين حكايات متعددة في حكاية واحدة من دون اختيار حكاية منها كنموذج للأخريات، ويشكل هذا النوع من التكرار الإطار للمشهد أو الخلفية المعرفية له، كما يؤدي الوظيفة المنوطة بالوصف، وهو موجود في الرواية التقليدية والرواية الحديثة، وخصوصا في الروايات الذاتية التي يكثر فيها استرجاع حوادث الطفولة»[2].

ج/ تكرار السرد: «وهو رواية ما حدث مرة واحدة أكثر من مرة بتبديلات أسلوبية أو بدون تبديل، وتلجأ القصة إلى التكرار للتعبير عن حالات كثيرة، والكشف عن اختلاف وجهات النظر، إذ نجد النص يتكرر مع اختلاف يسير في التعبير، وقد يرافقه اختلاف طفيف في المضمون، وهذا الاختلاف يكشف الخلفيات النفسية والذاتية، ويرسم دواخل الشخصيات كما نرى في الرواية البوليسية، إذ يروي الشهود أو المتهمون الحدث الواحد

1- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2002، ص 61.

2- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 60، جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2003، ص 78.

بصور مختلفة تبعا لاختلاف وجهات النظر، فهنا يتكرر السرد مرات متعددة مع تغير الراوي، والمروي له، ومكان السرد، وتتبدل صورة من التفصيل إلى الاختصار إلى مجرد الذكر»[1].

أما في القصة القرآنية، فقد جاء التكرار لأهداف كثيرة وغايات متعددة، كالتوكيد أو زيادة التنبيه أو التهويل أو التعظيم أو التلذذ بذكر المكرر، والنفس الإنسانية متقلبة في طبيعتها ومراحل أطوارها، فما تستجيب له الآن قد لا تستجيب له بعد آن، وما لا يؤثر فيها في طور ما قد يؤثر فيها في طور آخر، فاختلفت لذلك صور التكرار وتشعبت لتناسب أحوال النفوس وتقلباتها، ومن ثم كانت غاية التكرار شحذ الإدراك القاصر، وتنشيط الذهن البليد، وتنبيه الغافل وتذكير الناسي، وتهذيب الغرائز وترقيق القلوب وتربية النفوس.

ولذا يعد التكرار من الظواهر الفنية الجمالية في القصة القرآنية، وقد لفتت هذه الظاهرة أنظار الباحثين والنقاد، فتوقف عندها بعض العلماء والمفسرين القدماء وعللوا وجودها، ومنهم ابن قتيبة الذي رأى أن «التكرار في القصة إنما جاء في القرآن الكريم، لأنه نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة، بفرض بعد فرض، ووعظ بين وعظ، وناسخ بعد منسوخ، فكان لابد من التكرار تنبيها للصحابة من سنة الغفلة وشحذا لقلوبهم بتجدد الموعظة»[2].

وذكر ابن قتيبة سببا آخر لوقوع التكرار في القصة، وهو أن وفود العرب كانت ترد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام، فيقرؤهم المسلمون شيئا من القرآن، فيكون ذلك كافيا لهم، كما كان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة... فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم،

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- أبو محمد بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط01، 1973، ص 232.

وقصة نوح إلى قوم وقصة لوط إلى قوم... فأراد الله بلطفه ورحمته من خلال تكرار القصص إشهار تلك القصص في أطراف الأرض، وإلقائها في كل مسمع، وتثبيتها في كل قلب، وزيادة الإفهام والتحذير»[1].

أما الرازي فذكر من فوائد التكرار «أن الذين يسمعون هذه القصص يتقرر عندهم أن عاقبة الصديق والزنديق والمواقف والمنافق إلى ترك الدنيا والخروج منها، غير أن المؤمن يخرج من الدنيا مع الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة، والكافر يخرج من الدنيا مع اللعن والعقاب في الآخرة، فإذا تكررت هذه الأقاصيص على السمع، فلابد وأن يلين القلب، وتخضع النفس، وتزول العداوة وتذهب القسوة والغلظة من قلوبهم، ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر والاستدلال والعظة والاعتبار»[2].

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يضيق صدره لما يناله من الكفار، فكان الله عز وجل ينزل على رسوله من أقاصيص الأنبياء المتقدمين ويعيد ذكرهم تثبيتا لقلب نبيه، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[3]. أما الباقلاني فرأى في التكرار ثماني فوائد:[4]

- أنه تعالى إذا كرر القصة زاد فيها شيئا، فقد ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام، وذكرها في موضع آخر ثعبانا، وفائدته أن ليس كل حية ثعبانا، فهذا التكرار لصفة زائدة.
- أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن، ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين، فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى

1- المصدر نفسه، ص 234-235.

2- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1421هـ-2000م، ص 45.

3- سورة هود، الآية 120.

4- أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط03، (د.ت)، ص 62.

إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم... فأراد الله سبحانه اشتراك الجميع فيها ليكون فيه إفادة القوم وزيادة تأكيد وتبصرة.

- تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم.
- أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة.
- أن الدواعي لا تتوفر كتوفرها على نقل الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام.
- أن الله تعالى أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الاتيان بمثل آية لصحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاؤوا وبأي عبارة عبروا.
- أنه لما سخر العرب بالقرآن قال تعالى: ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾[1]، وقال في موضع آخر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾[2]، فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي بما قال الله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾: (إيتونا أنتم بسورة من مثله) فأنزلها سبحانه في تعداد السور دفعا لحجتهم من كل وجه.
- أن القصة الواحدة من هذه القصص كقصة موسى مع فرعون وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى، فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وتلك حال

1- سورة البقرة، الآية 123.

2- سورة هود، الآية 13.

المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ، فإن كل واحدة لابد أن تخالف نظيرتها من نوع زائد فيه لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها، فكأن الله تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متفرقة فيها.

بناء على ما تقدم، فالتكرار يعد وجها من وجوه الإعجاز القرآني، وصورة من صور البلاغة، وأسلوبا فريدا من أساليب الفصاحة والبيان، لا يستطيع أن يقاربه أحد من البلغاء لأنه مزلق خطير ومسلك وعر، وذلك لأن الكلام المكرور يثقل على النفوس، وتنفر منه الآذان، فلا يرتاده إلا أديب متمرس بفنون الكلام، خبير بأسرار العربية.

«فالتكرار في القرآن هو باب عظيم من أبواب البلاغة، ووجه من وجوه الإعجاز، وكنز من كنوز المعاني، وسر دقيق من أسرار العربية، فقد كرر القرآن قصص الأنبياء فأبدأ وأعاد وأجمل وفصل بأروع نظم وأبدع تعبير، وأفصح لفظ وأجمل وصف، فجاء أسلوبه معجزا في تشابهه وتكراره، قويا في تأثيره وفعله، شديدا في ردعه وزجره، لطيف في دعوته واستمالته»[1].

وقد وصف عز وجل كتابه بأنه أحسن الحديث لما فيه من التشابه والتكرار والتثنية مع قوة التأثير في النفوس، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾[2].

وتعد قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص تكرارا في القرآن، إذ ذكر اسمه مئة وسبعا وثلاثين مرة، وكررت قصته مع فرعون وبني إسرائيل سبع عشرة مرة متباينة

1- عبد الرحمن محمد الشهراني: التكرار مظاهره وأسراره، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف: علي محمد حسن العماري، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1404هـ-1983م، ص 274.

2- سورة الزمر، الآية 23.

في الطول والتفاصيل، وتأتي بعدها قصة نوح عليه السلام من حيث التكرار، لذلك وقفنا على قصة نبي الله نوح عليه السلام لدراستنا وتحليلها.

التكرار في قصة نوح عليه السلام:

ورد اسم نوح عليه السلام في القرآن الكريم ثلاثا وأربعين مرة، وكررت قصته ثلاثة عشرة مرة، منها ما جاءت ملخصة، ففي سورة الفرقان ذكر حدثا التكذيب والإغراق بإيجاز شديد، قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾[1]. وفي سورة الأنبياء والصافات ذكر دعاء نوح عليه السلام ومناداته لربه واستجابة رب العالمين له وإنقاذ نوح وأهله وإغراق الكافرين، كل ذلك باختصار كبير، أما في سورة العنكبوت فنلاحظ لأول مرة تحديد مدة الدعوة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[2]. ثم ذكر إغراق الكافرين ونجاة المؤمنين عن طريق السفينة: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾[3]. وبدأت القصة في سورة القمر بتكذيب الكفرة لنوح، فدعاء نوح عليهم، فالطوفان ونجاة المؤمنين، وهنا سمى الله تعالى السفينة: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[4].

أما في سورة يونس فقد سرد كلام نوح عليه السلام مع قومه ونصحه لهم وتذكيره إياهم وإنذارهم من دون ذكر لرد قومه عليه وحوارهم ومجادلتهم إياه، فقد اكتفى السرد القرآني بذكر كلام نوح فتكذيب قومه فنجاة المؤمنين في الفلك وإغراق الكافرين.

1- سورة الفرقان، الآية 37.

2- سورة العنكبوت، الآية 14.

3- سورة العنكبوت، الآية 15.

4- سورة القمر، الآية 13.

وهكذا نجد من خلال ما تقدم أنه مع إيجاز القصة في بضعة أسطر في أكثر من موضع لا نشعر أن هناك تكرارا مملا أو نسخا سمحا، بل ثمة تنوع من حيث أسلوب العرض ومن حيث زاوية الرؤية، إذ اختص كل موضع بميزة لا نجدها في غيره، فالسفينة مثلا لم تذكر في سورة الفرقان والأنبياء والصافات، وذكرت في سورة العنكبوت والقمر ويونس، وفي كل منها سميت باسم مختلف (السفينة، الفلك، ذات ألواح ودسر)، أما مدة الدعوة فلا نجدها مذكورة إلا في سورة العنكبوت، وأما بقية السور فتتوالى الأحداث وكأنها جرت بين ليلة وضحاها، وكذلك فإن دعاء نوح عليه السلام ذكر في الصافات والقمر والأنبياء، ولم يذكر في العنكبوت ويونس والفرقان.

وقد ذكرت قصة نوح بشيء من الإسهاب والتفصيل خمس مرات وذلك في سورة الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء ونوح.

ففي سورة الأعراف تبدأ القصة بمشهد حوار بين نوح وقومه، يظهر نوح عليه السلام بشخصية الناصح الأمين الملاطف لقومه، في حواره الداعي المبلغ لهم بكل رفق ولين، في حين نرى قومه يجادلونه ويتعجبون من اختياره للرسالة، ثم ينتهي المشهد بتكذيب الكفار وإغراقهم ونجاة نوح وقومه في الفلك «فالمحور الذي يدور حوله المشهد هنا هو رفض الملأ دعوته إلى الخير وما تولد عن ذلك من إلحاح نوح عليهم وإعذاره إياهم وإغرائهم لتقبل رسالته واستمراره على ذلك مع إصرارهم على الرفض والتكذيب، حتى يفاجأ بإنجائه والذين معه في الفلك وإغراق المكذبين»[1].

وامتازت قصة نوح عليه السلام في سورة هود بتفاصيل متعددة لا نجدها في غيرها من مواضع التكرار، فقد افتتحت القصة بحوار نوح مع قومه الكافرين وجد لهم، ثم كشفت لنا عن طبيعة كلا الفريقين المتحاورين نوح الهادئ اللطيف اللين الحليم

1- محمود حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ط01، 1981، ص 119.

الصبور، والكفرة المعاندين المتمسكين برأيهم المجادلين بحججهم الواهية، الساخرين المستهزئين بالضعفاء المؤمنين المصرين على ضلالهم وكفرهم، لينتهي الحوار بطلب الكافرين عذا الله وعقابه الموعود، فلم يكن من نوح إلا تسليم أمره لله وانتظار وعد الله له وللمؤمنين بالنصر، وبعد ذلك يأتي أمر الله تعالى لنوح بصنع السفينة ينتقل مسرح الأحداث إلى مشهد ثان هو مشهد الكفرة المستهزئين بنوح وبصنعه السفينة، الساخرين من المؤمنين وعملهم، ورد نوح عليهم بأن الأيام القابلة ستبين لهم من أحق بالسخرية.

هذا المشهد ظل يتكرر إلى أن جاء أمر الله لنوح بركوب السفينة مع المؤمنين، ثم يرفع الستار لنجد أنفسنا أمام مشهد ثالث، مشهد رهيب نوح والمؤمنون في السفينة، والطوفان قد ملأ الأرض حتى صار أمواجا كالجبال، ونسمع هنا صوت نوح مناديا ابنه الذي بقي على كفره، وكان ما يزال في أمان حتى وقت المناداة، طالبا منه الركوب في السفينة، لكن كان مصيره كمصير غيره من الكفرة وهو الغرق، ذلك لأنه رفض نداء أبيه المشفق عليه وتمسك بكفره إلى آخر لحظة.

ثم يرفع الستار أمام مشهد رابع، لقد بلغت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، واستوت السفينة على الجبل وأنقذ المؤمنون، وهلك الكافرون غرقا، ولكن قلب الأب المنفطر حزنا على ابنه المليء حبا وشفقة عليه حاول محاولة يائسة أن يحظى ابنه بالمغفرة والعفو من الله، فنسمع هنا حوارا بين أب شفيق ورب غفور شديد العقاب، فيعلن نوح عبوديته المطلقة لربه وجهله أمام علمه طالبا الرحمة والعفو والغفران، وتنتهي أحداث القصة بأمر الله لنوح بالهبوط إلى الأرض والخروج من السفينة، ليجعله ومنه معه من المؤمنين خلفاء في الأرض، ثم نقرأ في ختام القصة تعقيبا ختاميا يؤكد فيها عز وجل أن هذه القصة بأحداثها هي من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا هو، وهي تدل على صحة الوحي وصدق نبوة محمد الله عليه وسلم، وفيها تثبيت لقلب نبيه وتصبيره، لأن العاقبة دائما للمؤمنين المتقين.

وإذا انتقلنا إلى سورة المؤمنون، وجدنا القصة تبدأ بحوار بين نوح وقومه، ولكن في هذا الحوار لا نسمع صوت نوح المحاور اللين اللطيف، بل نسمع صوت الكفرة وحججهم الواهية ووصفهم لنوح بالجنون، ثم دعاء نوح ربه بالنصر على المكذبين، فأمر الله له يصنع السفينة وحمل زوجين اثنين من كل نوع من الحيوانات والطيور، وعدم مخاطبته في الذين ظلموا، فأمر الله له بالحمد والدعاء بعد انتهاء الطوفان واستواء السفينة، فهنا لا نسمع صوت نوح إلا وهو يدعو ربه بالنصر، ونسمع صوت الكفرة ومجادلتهم العقيمة، ثم نسمع صوت رب العزة وهو يخبر نوحا عما سيحدث ويبين له ما يتوجب عليه فعله من خطوات.

وفي سورة الشعراء يغلب على القصة المشهد الحواري الذي يظهر التباين بين الفريقين، بين نوح بأسلوبه اللين الحكيم وقومه المعاندين الرافضين، ثم نرى بعد ذلك نوحا وهو يدعو ربه بالفتح والنجاة ليكونوا عبرة لمن أراد أن يعتبر، يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾[1].

أما في سورة نوح فسمع صوت نوح ذلك النبي الصابر الذي فاض به الصبر وملأه اليأس من إيمان قومه به، فهو يلجأ إلى رب العزة لجوء الضعيف القانط العاجز أمام جبروت الظلمة الكفرة الفجرة من قومه، فيشكو همه ويبث حزنه ويوضح معاناته

1- سورة الشعراء، الآيات 106-115.

الشديدة معهم وحسن دعوته لهم وصبره العظيم عليهم ورغبته في تصديقهم له والإيمان برسالته وصرف نظرهم إلى دلائل قدرة الله تعالى في خلقه للاعتبار والاتعاظ، كل ذلك دون جدوى، بل على العكس تماما كانوا يزدادون ضلالا وظلما وإصرارا، فلم يكن من نوح إلا الدعاء على قومه الظالمين وطلب المغفرة له ولأهله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

وهكذا نلحظ أن قصة نوح لم تكرر بألفاظها وتفصيلاتها في كل موضع، وإنما كرر عز وجل بعض المشاهد والحوادث بما يلائم السياق فاختصر وأجمل وأسهب وفصل.

وكان لكل موضع من مواضع التكرار جماليته وسحره، فلا نشعر بالسأم أو الملل، ففي سورة هود تستعرض أحداث القصة بشكل تفصيلي أكثر من غيرها، وفي سورة نوح كان التركيز على شخصية نوح، إذ نرى الأحداث تنقل بلسانه، فيصف لنا حالة مع الكفار وكيف ضاق بهم ذرعا حتى دعا عليهم.

وفي سورة الأعراف ظهر لنا نوح عليه السلام ناصحا لينا وداعيا حكيما، بخلاف سورة المؤمنون التي تركز على الكافرين فتصورهم وتبين حججهم وسخريتهم، أما في سورة الشعراء فكان الحوار بؤرة لإظهار التباين بين نوح وقومه.

«وهكذا نجد أن قصة نوح قد اشتملت على الجزئيات الآتية: أسلوبه في الدعوة، موقف قومه منه، موقفه من قومه وابنه، والنهاية الحاسمة نجاة المؤمنين وغرق الكافرين، وجزئيا موقف قومه منه ونهايتهم قد تكررتا في أكثر من موضع لأنهما جزءان محوريان

1- سورة نوح، الآيات 26-28.

من هذه القصة، لأنهما تمثلا الصراع بين الحق والباطل، والتكرار يشبب هذا الصراع ويؤكد نهاية الظلم وانتصار الحق، فترسخ في النفس هذه الحقيقة وتكون أدعى إلى التصديق والامتثال، ففي هذا التكرار إيقاظ للهمم ودفع للعقول إلى التأمل والتدبر.

أما جزئية موقف ابنه منه فذكرت مرة واحدة ولم تكرر، لأنه موقف فردي سيق لإعلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم بما حدث من حوار بين نوح وابنه، ولم يكن للنبي من الظروف والملابسات ما كان لنوح عليه السلام إذ لم يكن له ابن قد بلغ هذه السن»[1].

كما نلحظ أن تلك الجزئيات المكررة عرضت في كل سورة بأسلوب مختلف وألبست لباسا جديدا، فأبرز المعنى الواحد في صور متعددة، وهذه قمة البلاغة والإعجاز، وكانت تميل في بعض الأحيان إلى الإطناب والإسهاب، وفي مواضع أخرى إلى الاختصار والإيجاز وفي كل موضع لانعدام معنى جديد إضافيا، «ولو تضامت جميع الجزئيات في القصة في مختلف السور التي ذكرت فيها لأعطت صورة مكبرة لجزئيات تفرقت في مواطنها لتسير على حسب مقتضى الحال»[2].

ونستطيع أن نشبه التكرار في القصص القرآني، ولله المثل الأعلى بما يفعله المصور حينما يريد أن يلتقط صورة لشخص ما، فيعدد الزوايا في الالتقاط من اليمين تارة ومن الشمال تارة أخرى، ومن الأمام حينا ومن الخلف حينا آخر...، ويغير في الإضاءة فيزيدها وينقصها ويبدل في الألوان فيقويها أو يضعفها بحسب رؤيته الشخصية وذوقه الجمالي، لنقف في نهاية المطاف أمام صور شتى لشخص واحد، وكل منها تشابه أختها، ولكنها ليست نسخة مكرورة عنها، إذ تنفرد كل صورة بجماليتها وخصوصيتها، وكذلك

1- عمر باحاذق: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، رسالة ماجستير مقدمة في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط01، 1344هـ-1993م، ص ص 74-58.

2- المرجع نفسه، ص ص 76-77.

القصص القرآني يرد حلقات تناسب كل حلقة منها مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهها وجوها.

من خلال ما تقدم، نصل إلى أن نوح عليه السلام كان رجلا بارا، أرسله رب العزة والجلال بعدما فسدت الأرض، وامتلأت ظلما، لكن الكفار لم يستجيبوا دعوة نبيهم فأغرقهم الله بالطوفان، إلا نبي الله نوح ومن آمن معه، فقد نزلوا من السفينة وبنوا المدينة وبنوا المدينة، وغرسوا الأشجار وأطلقوا الحيوانات التي كانت معهم، وابتدأت العمارة في الأرض، وقد وردت هذه القصة في كثر من سور القرآن الكريم، فهي تهدف إلى التوحيد واتباع الطريق الصحيح، كما أن قصة نوح عليه السلام تتضمن عناصر القصة من حدث وشخصيات...الخ.

أما الجوانب الفنية تتجسد في التصوير الفني، وهو تعبير وتصوير وتجسيد للمشاهد والمواقف، كذلك نجم علم البيان والبديع، وأخيرا جمالية التكرار هدفها التعظيم والتوكيد.

خاتمة

خاتمة:

من خلال الدراسة والبحث في هذه المذكرة الموسومة بـــ: جماليات فنية في القصة القرآنية –قصة نوح أنموذجا– توصلنا إلى مجموعة من النقاط المتمثلة في:

- الجمال صفة من صفات الأشياء، وهو مرتبط بالفن.
- تعود جذور مصطلح الجمال إلى العصر اليوناني، ثم الفكر الإسلامي، ثم العصر الحديث وأخيرا إلى العصر المعاصر مع اختلاف آراء النقاد والأدباء في تحديد مفهومه.
- القصة القرآنية تختلف عن غيرها من القصص، تحمل العبرة والموعظة والإرشاد.
- القصة عند العرب من العصر الجاهلي وتصوير للبيئة والحياة، ثم في صدر الإسلام، ثم في العصر الحديث، حيث تطور مفهومها، وكان انتشارها واسعا.
- تتنوع القصة وتنقسم إلى قصة شعبية وهي أقرب للناس، القصة الإسلامية، حيث تستمد أحداثها من الشريعة، القصة البوليسية يغلب عليها الخيال، القصة الفكاهية وهي حدث يهدف إلى التسلية، قصص الطير والحيوان التي تعبر عن الإنسان وأخيرا القصص العلمية تكون مواضيعها في المجال العلمي، أما دوافع ظهورها تكمن في الظروف الاجتماعية والحوادث التاريخية.
- تنوع القصص في القرآن الكريم، فمن قصص النبيين إلى قصص الأمم والحضارات، إلى قصص وقعت في مطلع عصر الإسلام، وقد تنوع تناوله لهذا القصص أيضا فكرر منها وأفرد وكل ذلك لحكمة مقصودة وفائدة مرادة.
- سيقت القصص القرآنية لأغراض سامية ومقاصد رفيعة، تخدم في مجملها قضية التوحيد وما يوصل إليها كإثبات النبوة أو إثبات البعث والجزاء، والقصد هداية الناس إلى المذهب الحق في ذلك، وقد نجت في ذلك أيما نجاح.

- تتكون القصة القرآنية من عناصر أولها الحادثة وهي العمود الفقري للقصة، ثم الشخصيات وهي الفلك الذي يدور حوله الحدث، فالمكان والزمان، وأخيرا الحوار الذي يقدم الحجج والبراهين.
- تتضمن القصة القرآنية جوانب تربوية، تسعى إلى زرع التقوى والتسامح في النفس، كذلك طاعة الله سبحانه وتعالى وشكره على نعمه، وغيرها من القيم والدروس التلقينية التي لها آثار نفسية بليغة.
- امتاز القصص القرآني بخصائص تميزه عن سواه من القصص البشري الفني من الإيجاز غير المخل الذي يصل إلى الغرض من أقرب طريق مع تحقيق فنيات القصة، وتحقيق الغاية الذي لا يخلو سبيل الوصول إليه من إثارة وتشويق والواقعية التي تحمل في طياتها الصدق والقدوة.
- تمتاز القصة القرآنية عن غيرها من وسائل التعبير الأخرى بدور عظيم في التربية الإسلامية لا يحققه لون آخر من ألوان الأداء اللغوي، مما جعل لها آثار نفسية وتربوية بليغة، محكمة بعيدة المدى على مر الزمن.
- سلك القرآن الكريم سبيل القصة في الوصول إلى غايته وهي هداية الثقلين إلى الصراط المستقيم، ونلمس فيها جوانب إعجازية وفنية منها التصوير الفني وهي ظاهرة تجعل العمل القصصي أداة فعالة في التأثير على المستمع أو القارئ، كذلك التنويع في الاستعمال والمفاجأة في العمل القصصي، وأخيرا التكرار وله عدة أغراض أهمها تثبيت السنن في القلب والنفس.
- قصة نوح عليه السلام تعالج قضايا العقيدة، فقد أرسل نوح إلى قومه لدعوتهم إلى الإيمان لكنهم أنكروا ذلك وكفروا، فأخذهم الله بعقاب من عنده وأغرقوا بالطوفان في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار، وقد ورت قصة نوح في اثنا عشرة سوة، وتهدف إلى النهي عن الشرك واتباع الطريق الحق.

- تتضمن قصة نوح عليه السلام عناصر قصصية أهمها الأحداث والشخصيات وهما محورا القصة، ثم الحوار بين نوح وقومه، كذلك حواره مع الله عز وجل، وحواره مع ابنه.
- وفي الأخير نتطرق إلى أهم الجوانب الفنية والإعجازية في قصة نوح عليه السلام، ونبدأ بالتصوير الفني الذي يعبر عن الحادثة والحالة النفسية للشخصيات، ثم نعرض جماليات علم البيان في القصة تتضمن التشبيه والمجاز والاستعارة...الخ، وأخيرا جمالية التكرار فهو إعادة سرد للقصة أكثر من مرة بهدف استعراض القصة بشكل تفصيلي.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم**

أولا: المصادر والمراجع

1-ابن الجوزي: زاد الميسر، دار ابن حزم، المكتب الإسلامين (د.ط)، (د.س).

2-ابن الكثير إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، القاهرة، ط02، 1420هـ-1999م.

3-أبو أسعد أحمد: فن القصة، دار الشروق الجديد، عمان، ط01، ج01، 1959م.

4-أبو دبسة فداء حسين وآخرون: فلسفة علم الجمال عبر العصور، دار الإعصار العلمي، عمان، الأردن، ط01، 2010م.

5-أبو زهرة محمد: المعجزة الكبرى للقرآن، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س).

6-أبو زيد ناصر حامد: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط06، 2005م.

7-الباقلاني أبي بكر محمد: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط01، 1971م.

8-الباقلاني أبي بكر محمد: إعجاز القرآن، عالم الكتب، ط01، 1408هـ.

9-بقاعي إيمان: المتقن في تاريخ الأدب العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط01، 2007م.

10-بلبول عبد الباسط: قصص القرآن، نشر مكتبة كلية أصول الدين، القاهرة، ط01، (د.س).

11–بن الشاطئ عائشة: مقال في الإنسان، دراسة قرآنية، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1389هـ–1949م.

12–بن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج01، (د.ط)، 1984م.

13–بو منير كمال: قضايا الجمالية من أصولها القديمة إلى دلالاتها المعاصرة، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، ط01، 2013م.

14–تيمور محمد: فن القصص دراسات في القصة والمسرح، مكتبة الآداب ومطبعتها بالحماميز، القاهرة، (د.ط)، (د.س).

15–الجوزية ابن القيم: زاد الميعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج01، ط03، 1418هـ–1998م.

16–جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2003.

17–الحيوني محمد الصاوي: جماليات المضمون والشكل في الإعجاز في القرآن، دار المعارف، الإسكندرية، القاهرة، (د.ط)، 1983م.

18–الخالدي عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم، دمشق، 1425هـ–2007م.

19–خضر هالة محجب: علم الجمال وقضاياه، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط01، 2006، نقلا عن: دنيس هويسمان، علم الجمال (الأستيطيقا)، تر: أمير حلمي مطر، دار إحياء الكتب العصرية، القاهرة، (د.ط)، (د.س).

20–الخطيب عبد الكريم: الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1974.

21–الخطيب عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مطبعة السنة المحمدية، ط01، 1384هـ–1928م.

22–خلدون عبد الرحمن: المقدمة، موفم للنشر، ج02، الجزائر، (د.ط)، 1991م.

23–خلف الله محمد أحمد: الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط02، 1957م.

24–خورشيد فاروق: فن الرواية العربية، دار الشروق، القاهرة، ط02، 1975م.

25–الدسوقي عمر: نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، ط01، (د.س).

26–الرازي فخر الدين: مفاتيح الغيب، دار الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1421هـ–2000م.

27–الرافعي محمد صادق: إعجاز القرآن والبلاغة البنيوية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط03، 1973م.

28–الزركشي محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1408هـ، ج03.

29–الزمخشري أبو القاسم: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط03، 2009.

30–زمزمي يحي بن محمد: الحوار آدابه وضوابطه، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط01، 1994م.

31–زيتوني لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2002.

32–سالم أحمد موسى: قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 1978م.

33–السراج الوجيه: معجم المترادفات والعبارات الاصطلاحية والأضداد العربية، مكتبة لبنان، ط01، 2003م.

34–السعدي عبد الرحمن بن اصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار السلام للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط03، 1422هـ–2002م.

35–السكاكي يوسف: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1987م.

36–سلطان جميل: فن القصة والمقالة، دار الأنوار، بيروت، ط01، 1967م.

37–السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجتمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ج01، (د.ط)، (د.س).

38–السيوطي جلال الدين: لباب النفول في أسباب النزول، دار العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط02، 1969م.

39–الشرقاوي حسن: الجدل في القرآن والسنة النبوية، منشأة المعارف، الإسكندرية.

40–شريط أحمد شريط: تطور البنية الفنية في القصة المعاصرة، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط01، 1998.

41–الشعراوي محمد متولي: قصص الأنبياء والمرسلين، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.س).

42–شلق علي: الفن والجمال، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982م.

43–الشيخ محمد عبد الرؤوف: أدب الأطفال وبناء الشخصية، منظور أدبي إسلامي، دار القلم، دبي، ط02، 2004م.

44–الصابوني محمد علي: النبوة والأنبياء، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، ط03، 1405هـ–1985م.

45–الصباغ رمضان: جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط01، 2003م.

46–الصراف آمال حليم: علم الجمال فسلفة وفن، دار البلدية، عمان، الأردن، ط01، 2012م.

47–صقر إياد محمد: معنى الفن، دار مأمون، عمان، الأردن، ط01، 2010م.

48–الطبري محمد: قصص الأنبياء، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1989م.

49–الطراونة سليمان: دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، عمان، الأردن، ط01، 1992.

50–طول محمد: البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، (د.س).

51–عباس إحسان: فن الشعر، دار الشروق، عمان، الأردن، ط01، 1996م.

52–عباس حسن: قصص القرآن الكريم، صدق حدث وسمو هدف، دار هاف حسن وتهذيب نفس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط01، 2000م.

53–عباس فضل حسن: قصص القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط01، 2000م.

54–عبد الحفيظ محمد: دراسات في علم الجمال، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط04، 2004م.

55–عبد الغني أيمن أمين: الكافي في البلاغة، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د.ط)، (د.س).

56–عبد المعطي علي ورواية عباس عبد المنعم: الحسن الجمالي وتاريخ الفن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2003م.

57–عزام محمد: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية دراسة في نقد النقد، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط01، 2003م.

58–علي سعيد إسماعيل: القرآن الكريم رؤية تربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط01، 1421هـ–2000م.

59–الغزالي أبو حامد بن محمد: المقصد الألسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 2003م.

60–الفريجات عادل: النقد التطبيقي للقصة القصيرة في سوريا، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط01، 2002م.

61–القرطبي أحمد: الجامع لأحكام القرآن، تح: محمد رضوان عرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 1427هـ–2006م.

62–القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم بلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2002م.

63–قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام، دار كيون للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط01، 2009م.

64–القطان مناع: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط07، 1995م.

65–قطب سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم.

66–قطب سيد: في ظلال القرآن، ج05، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط05، 1967م.

67–قطب محمد: القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط01، 1996م.

68–قطب محمد: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط06، 1983م.

69–قنينة أبو محمود: تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط01، 1973م.

70–القيرواني الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قزقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط08، 19898م.

71–اللقاني أحمد حسين والجمل أحمد: معجم المصطلحات التربوية والمعرفية في مناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة، ط02، 1419هـ–1999م.

72–مبارك زكي: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر، ط01، 1987م.

73–مصطفى محمود حسن: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ط01، 1981م.

74–مطاوع سعيد عطية: الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 2006م.

75–المولى محمد جاد: قصص القرآن، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط02، 1993م.

76–النجار عبد الوهاب: قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط03، (د.س).

77–نقرة التهامي: سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط01، 1974م.

78–النيسابوري أبو إسحاق أحمد: قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س).

79–هشام عبد الملك: السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، مصر، ط01، (د.س).

80–هيكل إقبال: المدخل لدراسة الفنون الأدبية، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر، ط01، 1982م.

81–الوراقي سعيد: اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر، مصر، دار المعارف، ط02، 1984م.

ثانيا: المعاجم

82–ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، مادة فنن، مج13، دار صادر، بيروت، لبنان، ط01، 1990م.

83–الزمخشري محمود بن عمر: أساس البلاغة، تح: محمد باسل، ج02، مادة فنن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م.

84–الفرابي أبو إبراهيم: ديوان العرب، مكتبة لبنان، ط01، 2003م.

85–الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2003، مج01.

86–الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ج03، بيروت، لبنان، ط01، 1999م.

ثالثا: المجلات والدوريات

87–الحاجري محمد طه: نشوء فن القصة، مجلة الثقافة، مصر، العدد 21.

88–القيسي نوري حمودي: تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 33، 1999م.

خامسا: الرسائل الجامعية

89–دريدي مبروك: القصة الشعبية في منطقة سطيف والتشكيل الفني والوظيفي، جمع ودراسة جامعة منتوري، قسنطينة، رسالة ماجستير في الأدب العربي، 2004م.

90–بوضرورة زهرة: القصة الجزائرية بين الاتباع والإبداع، دراسة نقدية لقناديل الظلام لعميشي عبد القادر، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، رسالة ماجستير في الأدب العربي، 2006، 2007.

91–الساعي مريم عبد القادر: القصة في القرآن الكريم، رسالة لنيل درجة لدكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1404هـ.

92–الشهراني عبد الرحمن محمد: التكرار مظاهره وأسراره، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف: علي محمد حسن العماري، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1404هـ–1983م.

93–باحاذق عمر: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، رسالة ماجستير مقدمة في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، دار مأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط01، 1344هـ–1993م.

سادسا: المواقع الإلكترونية

94-http//ar.islamaway.net

- دربالة إسلام محمود: القصص في القرآن الكريم

95- islamedrbalah@hotmail.com

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ–و
مدخل تمهيدي: القصة، النشأة والمفهوم	07
المبحث الأول: تحديد مصطلحات البحث	08
المطلب الأول: تعريف الجمال	08–19
المطلب الثاني: مفهوم الفن	20–21
المطلب الثالث: مفهوم القصة القرآنية	22–25
المبحث الثاني: القصة، النشأة والتطور	26
المطلب الأول: القصة عند العرب	26–31
المطلب الثاني: القصة في العصر الحديث	31–35
المطلب الثالث: أنواع القصة ودوافع ظهورها	35–38
الفصل الأول: جوانب القصة القرآنية	39
المبحث الأول: القصة القرآنية أغراضها وأنواعها	40
المطلب الأول: أنواع القصة القرآنية	40–45
المطلب الثاني: أغراض القصة القرآنية	45–47
المطلب الثالث: عناصر القصة القرآنية	48–59
المبحث الثاني: جوانب تربوية في القصة القرآنية	60
المطلب الأول: جوانب تربوية في القصة القرآنية	60–68
المطلب الثاني: الخصائص العامة للقصة القرآنية	68–73
المبحث الثالث: الجوانب الإعجازية والفنية للقصة القرآنية	73
المطلب الأول: التصوير في القصص القرآني	74–80
المطلب الثاني: التنويع في الاستعمال	80–86
المطلب الثالث: التكرار في القصة القرآنية	86–92
الفصل الثاني: جماليات فنية في قصة نوح عليه السلام	93
المبحث الأول: لمحة عن قصة نوح عليه السلام	94
المطلب الأول: التعرف على قصة نوح عليه السلام	94–101

المطلب الثاني: السور التي وردت فيها قصة نبي الله نوح عليه السلام	101-108
المطلب الثالث: أهداف قصة نوح عليه السلام	108-112
المبحث الثاني: العناصر القصصية في قصة نوح عليه السلام	113
المطلب الأول: الأحداث والشخصيات	113-116
المطلب الثاني: الحوار في قصة نوح عليه السلام	116-126
المطلب الثالث: المكان والزمان	126-129
المبحث الثالث: جوانب فنية وإعجازية في قصة نوح عليه السلام	130
المطلب الأول: التصوير الفني في قصة نبي نوح	130-134
المطلب الثاني: الدراسة الفنية لقصة نوح عليه السلام	135-141
المطلب الثالث: جماليات التكرار في قصة نوح عليه السلام	141-153
الخاتمة	155-157
قائمة المصادر والمراجع	159-167
فهرس الموضوعات	169-170

الملخص:

نحاول في هذه الدراسة الموسومة بـــ "**جماليات فنية في القصة القرآنية- قصة نوح أنموذجا-**" عرض المظاهر الفنية في قصة نبي الله نوح عليه السلام، فللقصة القرآنية أنواع وأغراض، كما نلمس فيها جوانب تربوية، وخصائص تميزها عن القصة الأدبية، أما أهم المظاهر الفنية والإعجازية تتمثل في التصوير الفنية وتمثيل الأحداث، علم البيان والبديع من تشبيه واستعارة وطباق وموازنة وغيرها، وأخيرا التكرار بهدف التوكيد والترسيخ والتعظيم.

Résumé :

Dans cette étude, nous essayons d'identifier "l'esthétique artistique dans l'histoire coranique - l'histoire de Noé en tant que modèle" - la présentation des aspects artistiques dans l'histoire du prophète Allah, que la paix soit sur lui. L'histoire coranique a ses propres types et objectifs, ainsi que des aspects éducatifs et des caractéristiques qui les distinguent de l'histoire littéraire. Le miraculeux est représenté dans la photographie artistique et la représentation d'événements, le drapeau de la déclaration et la prime d'analogie, d'emprunt, de malhonnêteté, d'équilibrage, etc., et enfin de répétition dans le but de l'affirmation, de la consolidation et de la maximisation.